Dirasat, Human and Social Sciences, Volume 49, No. 4, 2022

Deanship of Scientific Research

Social Networks and the Exploitation of Digital Data from the Empire of Surveillance to the Economy of Attention

Djamel Chabane Chaouche*, Tahar Bessais

Department of Information and Communication Sciences, University of Algiers -3- Algeria.

https://doi.org/10.35516/hum.v49i4.2084

Received: 5/12/2020
Revised: 13/9/2021
Accepted: 4/1/2022
Published: 30/7/2022

* ***Corresponding author:***
chabanechaouche.djamel@univ-alger3.dz

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan. All Rights Reserved.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

This piece of work entitled “Social networks and the exploitation of digital data: From the empire of .surveillance to the economy of attention”, addresses the digital environment and social media, which depend on various software and applications, and interaction devices that control human existence and communication. In addition to look the effects they have on the real world of individuals, especially with the emergence of forms of hidden domination, and a growing practice of administrative and voluntary slavery. To reach these researches aims, descriptive analytical approach was adapted, by invoking the studies and contributions of researchers and thinkers and their cognitive and critical conclusions, to elucidate the forms of exploitation of digital data and its use in the field of comprehensive global monitoring and attention economy. The main conclusion of the study is that there is digital management and exploitation of various comprehensive data of individuals who reveal their passions, emotions, consumer behaviors and intellectual activities, for the purpose of using them in the political, commercial and security fields. This constitutes a threat to the private life of humanity and individual liberties as well as the human condition.

Keywords: Empire of surveillance ; attention economy ; digital data.

شبكات التواصل الاجتماعي واستغلال البيانات الرقمية، من إمبراطورية المر اقبة إلى اقتصاد الانتباه

جمال شعبان شاوش، الطاهر بصيص*

قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر -3-، الجزائر العاصمة، الجزائر

ملخّص

نهدف من هذه الورقة البحثية، رصد أهم التحولات العميقة والجذرية التي طرأت على البيئة الرقمية والوسائط الاجتماعية، التي تعتمد على مختلف البرمجيات والتطبيقات، وأجهزة التفاعل التي تتحكم في الوجود والتواصل الإنساني، إضافة إلى عرض الاثار التي خلفتها على العالم الواقعي للأفراد، خاصة مع بروز أشكال جديدة من الهيمنة الخفية، وتزايد ممارسات الاستعباد الارادي والطوعي. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باستحضار دراسات ومساهمات الباحثين والمفكرين واجتهاداتهم المعرفية والنقدية، لاستجلاء أشكال استغلال البيانات الرقمية وتوظيفها في مجال المراقبة العالمية الشاملة واقتصاد الانتباه. خلصت نتائج الدراسة إلى أن هناك إدارة واستغلال رقمي لمختلف البيانات الشاملة للأفراد الذين يكشفون عن أهوائهم وانفعالاتهم وسلوكياتهم الاستهلاكية ونشاطاتهم الفكرية، لغرض استخدمها في المجال السياسي والتجاري والامني. وهذا يشكل خطرا يهدد الحياة الخاصة للبشرية والحريات الفردية وكذلك الشرط الانساني.

الكلمات الدالة :إمبراطورية المراقبة، اقتصاد الانتباه، البيانات الرقمية.

المقدمة

يشير أغلب الباحثين المختصين في مجال الدراسات الإعلامية، على أن الوسائط الاجتماعية بمختلف أنواعها، كان لها الدور الكبير والفاعل في تجسيد فضاءات التعبير عن الرأي والترويج للأفكار والمُعتقدات. استطاع من خلالها الفرد تفعيل حضوره في الفضاء الرقمي وتحقيق فعل التحرر والمشاركة في الاتصال المباشر محليا وعالميا. فهي بذلك، تشغل مكانًا كبيرًا ووقتًا طويلاً في حياتنا اليومية، وتساهم في بناء واقعنا ونمط حياتنا. (Mary, 2018) تعزز هذا الدور الذي يحمل ممكنات التعبير المتنوعة بالاستخدام الواسع للتكنولوجيا الرقمية والتطبيقات التفاعلية التي تسمح بنقل وتقاسم النصوص والمعلومات والفيديوهات والصور بكل أنواعها واشكالها في الزمان الأصلي، أي في الواقعة الاتصالية المباشرة والافتراضية التي يهيمن عليها زمن الحاضر (إلزا غودار ، 2019، صفحة 55) والتي تتميز بالمرونة والانفتاح وبالانتشار الواسع أو "الفيروسي" وأيضا بالتفاعلية. والحقيقة، لقد ساهمت هذه الثورة التكنولوجية والرقمية في خلق "أنموذج" جديد يتسم بالتمركز الذاتي الذي يتجاوز " "أنموذج" القديم المرتبط أساسا بوسائل الإعلام المركزية التي تتصف بأحادية الاتجاه وباحتكارها كل المعلومات والاخبار والقيام بمعالجتها وتداولها ونشرها دون وساطة. (Ramonet, 2015) وفي هذا الصدد، أصبحت الشبكات الاجتماعية، كمصادر أساسية للحصول على المعلومات والاخبار والبيانات وعادة ما يتم ذلك، بالتنويع من طرق وأساليب الاستخدام الرقمية الجديدة التي تساعد على إنشاء المحتوى ومشاركته بشكل واسع عبر التطبيقات والتجهيزات الرقمية المتنوعة، وهذا ما أكدته دراسة نشرت في التقرير الأخير عن المعلومات الرقمية الصادر يوم الأربعاء 15 يونيو، عن "معهد رويترز" لدراسة الصحافة بجامعة أكسفورد (المملكة المتحدة). أجريت هذه الدراسة عبر الإنترنت في الفضاء الرقمي وشملت 26 دولة، كشفت نتائجها أن غالبية المستجوبين (51٪) يستخدمون الآن وبشكل متزايد ومكثف مختلف شبكات التواصل الاجتماعي للوصول والحصول على المعلومات ومختلف الاخبار والمضامين الاعلامية بمختلف انواعها وحتى تلك المرتبطة بالحياة اليومية والواقع المعيش. (Delcambre, 2016)

والحقيقة، إن الثورة الرقمية أتاحت الكثير من الفرص لتوسيع من مساحات وفضاءات النقاش والتواصل وممارسة السياسة، لما لها القدرة في التجديد من عمليات وأليات ممارسة الديمقراطية المباشرة. (Dijk & van, 2006, p. 39)يصر هنا الباحث "مانويل كاستيلس" " Manuel Castells " بشكل خاص على قدرات شبكات الاتصال الاجتماعية الحديثة في تعزيز الاتصال الذاتي- الجماعي للحركات الاجتماعية، لتأكيد ذلك، اعتمد الباحث "مانويل كاستيلس" على تحليل العديد من الوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية التي بينت هذا الدور المحوري لهذه الوسائط في التعبئة والمشاركة الواسعة وتجسيد الكثير من التغييرات في العقليات والتصورات والافعال السلوكية. يبني تحليله على تقديم أمثلة متنوعة، يمكن أن نستحضر هنا، جانب استخدامها في الحملة الانتخابية للرئيس الامريكي السابق "باراك أوباما" باعتماده الواسع على الشبكات الاجتماعية للفوز في الانتخابات الرئاسية 2008، كما يمكن أن نشير إلى تطور ونمو الوعي العالمي في مواجهة قضية الاحتباس الحراري ومشاركة ملايين الناشطين في التعبئة العالمية بتقاسم وتبادل ونشر مختلف المضامين والمعلومات والتوجهات والمواقف الايديولوجية ومختلف الآراء عن الحدث وتعزز ذلك بمظاهرات جابت أكبر عواصم دول العالم. (Castells, 2013, p. 668).

إذا كان المدير التنفيذي "مارك زوكربيرغ"" Mark Zuckerberg» لمؤسسة "فايسبوك "قد صرح قائلا: بأنه سنجعل من هذا العالم حيزا رقميا أكثر شفافية، وهذا بمساعدة الافراد بادراك كل الاحداث والاشياء والوقائع بمعناها العريض والواسع والتعرف على طبيعة الوجود الانساني وحقيقته ومعرفة خصوصيته ونموذجه الأصلي. وتندرج هذه الوظائف ضمن استراتيجية تواصلية تفاعلية تمنح الفرد القدرة على المشاركة وتقاسم الأخبار وتداول المعلومات، مهما كان موقعه الجغرافي وهويته الاصلية وتصوراته الفكرية. مضيفا فبدلا، من بناء الجدران والاسوار المنغلقة التي تمنع تحرر الذات وتعيق من معرفة الاخر، سنعمل على بناء جسور التواصل المنفتحة والعالمية، بحيث يجد فيها كل فرد الحرية الكاملة للتعبير والتفكير وتجسيد اهتماماته ورغباته، فإن الكثير من المختصين انتقدوا هذا التحول السريع وما أنتجته هذه الوسائط الرقمية من ممارسات تواصلية على السلوك الإنساني وتنظمه الاجتماعي، كونها لا تشكل تلك المرأة العاكسة للواقع بمفهومه الموضوعي والمعبرة على هوية الافراد الاصلية. ولعل هذا ما دفع الكثير للقول أن الأفراد لا يتقاسمون ولا يشتركون نفس الحقائق والاحداث والوقائع والعقلانيات في الفضاء الرقمي، بل بالعكس من ذلك، فهم في الغالب يتشاركون في تقاسم المشاعر والاحاسيس والأهواء، تسمح للتعبير عن ما تختزنه الذوات من انفعالات خارج خصوصية الانتاج الفكري، وهذا نتيجة للإفراط المتزايد في التواصل والتمثيل النرجسي للذات، وكل هذا لا يشكل في نهاية المطاف سوى حالات لتبجيل "الأنا" بالظهور أو العرض الذاتي الذي يتميز بالسرعة في الزوال. فالاهتمام ينصب في الكثير من الحالات على رسم صورة أكثر عالمية، لا تحكمها أي غاية عقلية وأخلاقية ومعرفية، لأنها تتطلق من التجربة الانسانية المباشرة، خاصة مع هيمنة اللحظة التواصلية التي تتركز على البعد المرئي الذي يعطى الاهمية للشكل والمعطيات الحسية ليس الجوهر. يمكن أن نذكر هنا، الممكنات التعبيرية التي تجسد الاشكال والوضعيات النرجسية في عمليات السيلفي (selfie) من خلال البحث الدائم عن نظرة الآخر فقط. وهي نظرة يبحث عنها الفرد ليس لرؤية العالم أو البحث عن المضامين الرمزية والحقيقية التي ترتبط بالتجارب الإنسانية والتي تهتم بالتاريخ والنقد والفن والمصلحة العامة، لكن فقط "لإضفاء الطابع الذاتي" مع النشر الفوري لاستثارة عاطفة وأحاسيس الافراد. (Sausse, 2016, pp. 628-630)

وتكمن المفارقة الاخرى هنا، أن هذه الوسائط الاجتماعية المهيمنة تمارس نوعا من المراقبة التي تتم باسم الديمقراطية وحرية التعبير والشفافية العالمية، تخفي من ورائها استراتيجيات الاستغلال المستمر للبيانات الضخمة والكبيرة (Big Data)، بحيث تقوم الشركات العالمية الرقمية، بجمع كل المعطيات والبيانات التي يقدمها المستخدمون والمبحرون على المنصات الرقمية عن أنفسهم وحياتهم، سواء تعلق الأمر بالمعلومات الصحية أو التي تتعلق بالأذواق والاختيارات، أو الرغبات والميولات، أو حتى العلاقات الأكثر حميمية، فتقوم هذه الشركات بتجميعها ومعالجتها وتصنيفها لتوجيه السلوك الفردي والجماعي وتوظيفها في المجال السياسي والامني والتجاري. وهكذا فإن المؤسسات الكبيرة، مثل "ميكروسوفت" و"غوغل" و"فايسبوك" يمتلكون 80 في المئة من المعلومات الشخصية الرقمية للإنسانية في هذا الفضاء الكوني والمفتوح، لذلك لم يتردد الكثير بتشبيه ذلك، "بالذهب الأسود الجديد". (مارك دوغان وكريستوف لابي، 2020، ص 31). فهي بذلك، تؤسس من جهة، لثقافة جديدة تسمح بتوفير مساحات من الحرية والتواصل العالمي، ومن ناحية أخرى، يمتد نشاطها الخفي والسري في تشكيل نظام استبدادي جديد يقوم على استخدام تقنيات التحكم الرقمي العالمي والتوسيع من دائرة الرؤية والمتابعة لتفاصيل لكل تفاصيل حياة الافراد.

إشكالية البحث

صحيح أن الثورة الرقمية بمختلف مستوياتها وتطبيقاتها، فتحت المجال لتقارب وتواصل الشعوب، بحيث أصبح للأفراد القدرة على توصيل أصواتهم ونشر مختلف آرائهم وتبادل المعلومات وإعادة نشرها في لحظة زمنية أنية، خاصة مع بروز ما يسمى "بالتدفق المستمر للمعلومات" " flux continu d'informations"... وزيادة النشاط المستمر والدائم في استخدام التطبيقات المتنوعة والتكنولوجية الرقمية والاجهزة الذكية. لكن مقابل كل هذا، ساهمت بظهور ما يسمى بأشكال الهيمنة والمراقبة العالمية والكثير من الممارسات ذات التوجه التجاري "الانتباهي" الذي يقود إلى تحقيق غايات تسويقية، فلا تكتفي هذه الثورة الرقمية بالتحكم في نمط حياة الناس وتوجيهها إلى عرض المزيد من المعلومات، بل إنها بالإضافة إلى ذلك، تبنى فضاءات من الامتثالية والعبودية الإرادية وبطواعية مطلقة، ستكون نتيجتها وخيمة على النسق والتنظيم الفردي والاجتماعي وستؤدى إلى القضاء على الحياة الخاصة والسرية للأفراد، بحيث سيتنازل الانسان طوعا عن حريته، وسيصبح عاريا أمام سطوة وهيمنة المؤسسات الرقمية المختصة في الاتصال والخدمات الفورية التي تتحكم في الصناعة الإلكترونية والرقمية العالمية. (Ramonet, 2011) وهو ما يعنى أنها، تستخدم وتمتلك الخوارزميات المختلفة التي تسمح لها بممارسة الرقابة والسيطرة على الفضاء الرقمي والتأثير على القرارات والافعال الفردية باختزال الزمن في مجال محدود "الأن" فقط وخارج الوقائع اليومية والموضوعية. (Badouard, 2017, p. 66)

وفقا لما سبق، سنحاول في هذا المقال، الاجابة عن الإشكالية المحورية التي تتناول تأثير وسائط الاتصال الاجتماعي على الفرد من خلال اعتمادها على ممارسة سلطة المراقبة الشاملة ومركزية اقتصاد الانتباه. وهذا سيقودنا لتقديم نظرة وصفية تحليلية عميقة لكيفية استخدام الشركات الرقمية العالمية في جمع كم معتبر وضخم من البيانات الشخصية والمعطيات الرقمية واستخدمها في المجال السياسي والاعلامي والتجاري وفي الاقتصاد السياسي، يتم كل هذا في عالم تسيطر عليه المؤسسات العالمية والوسائط الجديدة التي يمكنهما مراقبة منازلنا ومعرفة علاقاتنا، هويتنا، حاجاتنا، حميميتنا، وكذلك عادتنا في الاستهلاك...، كما سنعرج على التحول الذي شهدته المجتمعات بانتقالها إلى عالم المراقبة الشاملة والامتثال للعالم الافتراضي الذي يتميز بالشفافية والعبودية الطوعية، وما خلفته على خصوصيات الوجود الانساني والعلاقات الاجتماعية، وعلى برمجة وتوجيه الذات الانسانية نحو اقتصاد الانتباه من خلال التطبيقات المساعدة في النشر والمشاهدة واللايكات والتغريدات والتعليقات وتقاسم ومشاركة مختلف المحتويات والمضامين...

منهجية البحث:

تناولنا هذه الموضوع بالمنهج الوصفي التحليلي، الذي يوفر امكانية معرفية ونقدية لمعرفة خصوصيات وأبعاد هيمنة وسائل الاتصال الاجتماعي على وجودها وعلى أشكال تواصلنا والبحث عن طريقة اشتغالها وتأثيرها على الافراد، وهذا باستحضار سلسلة من الأفكار والتحليلات المعرفية خاصة النقدية منها، التي أفضت إلى تقديم قراءات نوعية لكيفية استغلال بيانات الافراد من طرف وسائل الاتصال الاجتماعي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في طرحها ومناقشها لأهم التحولات الكبيرة التي شهدتها وسائط الاتصال الاجتماعي واعتمادها على تطبيقات وبرمجيات وأجهزة رقمية متطورة لفرض السيطرة على الأفراد ومراقبتهم. كما تقدم لنا هذه الدراسة معرفة هامة لكيفية اشتغال الوسائط الاجتماعية وهيمنتها على الافراد، باستحضار طبيعة تقنيات المراقبة وأشكال التحكم الجديدة على حياة الافراد، واستغلال بياناتهم الشخصية لأغراض أمنية وتجارية. إلى جانب ذلك تقدم لنا هذه الدراسة بعض من أليات الاستخدام المفرط للخوارزميات من طرف المؤسسات الرأسمالية العالمية المهيمنة للكشف عن الذات الانسانية (تعرية الذات) وتوجيهها، لذلك، تتجلى أيضا أهمية الدراسة في امكانية فتح أفاق بحثية جديدة للدراسين والباحثين لمعاينة الاوضاع الراهنة للوسائط الاجتماعية والمؤسسات الكبرى، وهذا بالتركيز على تعدد ممارسات الهيمنة واشكال المراقبة الشاملة والعرض التجاري التفاعلي.

اهداف الدراسة:

- نهدف من هذه الدراسة إلى اثارة نقاش علمي، يبحث عن خلفية تزايد أشكال الهيمنة الرقمية المستترة ونشاط الديكتاتورية الجديدة (غير المرئية) التي تعتمد على اقتصاد الرغبة والانتباه ومختلف الاشكال الجديدة في التواصل السريع والشفافية، والبعد الحسي، والصور الحميمية، والانية...

- كما نصبوا من خلال هذه الدراسة الى تسليط الضوء على أهم القراءات والمساهمات النقدية المركزية، التي قدمت إضاءات عن كيفية مساهمة الأجهزة الرقمية والتطبيقات التي تستخدم ها وسائط الاتصال الاجتماعي، في فرض أشكال جديدة من السلطة والمراقبة.

- تهدف الدراسة أيضا إلى معرفة غايات وأسباب هذه الهيمنة المتزايدة التي تُفرض بأشكال متنوعة من طرف "عمالقة الواب "، معظمها من "وادي السيليكون"، التي تشمل مختلف الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والامنية، والممارسات الأخرى التي تقوم بتوجيه السلوكيات الاستهلاكية للأفراد.

- تقديم قراءة تحليلية لمراجعة الكثير من الامور والمعطيات المتصلة باستخدام الوسائط الاجتماعية في سياقنا العربي والتفكير بجدية في وضع أليات جديدة قد تساهم في التخفيف من هذه الهيمنة وارساء قواعد معرفية نقدية، تقودنا لفهم طبيعة الديكتاتورية الخفية لبعض التحولات الرقمية الراهنة.

الدراسات السابقة: عدنا في انجاز هذه الدراسة إلى بعض الادبيات المعرفية والمساهمات النقدية التي تناولت موضوع شبكات التواصل الاجتماعي وأساليب الاستغلال الواسع للبيانات الضحمة والشاملة من طرف المؤسسات الرأسمالية العالمية المهيمنة.

1-**الدراسة الاولى:** أشار الباحث والناقد " إغناسيو راموني" "Ignacio Ramonet " مع" نعوم تشومسكي" "Naom Chomsky" و "جولان أسانج"،" Julian Assange" إلى طبيعة هذه الهيمنة المتسارعة والخفية لهذا العصر الرقمي، في كتاب جاء بعنوان، "إمبراطورية المراقبة ". يحاول من خلاله رصد الكثير من الممارسات التي تشير إلى الانتهاكات المستمرة للحرية والديمقراطية والمواطنة كالتجسس السيبراني. كما أنه يكشف على وجه الخصوص، التعاون السري بين الشركات الأمريكية المتعددة الجنسيات والشبكات الاجتماعية مع وكالة الأمن القومي للوصول إلى المعلومات والبيانات على الشبكات الاجتماعية الافتراضية. وفي الاخير، توصل الباحث إلى نتائج عامة توضح أن هناك استخدام كثيف للأجهزة الرقمية المتطورة لغرض التنصت وممارسة ما يسميه بالمراقبة الإلكترونية الرقمية العالمية. إلى جانب ابتكار هذه المؤسسات، أشكالا جديدة من التسلط والهيمنة، فإنها تدعم وتعزز من هيمنة الأيديولوجية النيوليبرالية.

2- **الدراسة الثانية :** جاي العنوان التالي، مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها في الشباب الجامعي "دراسة على عينة من جامعات طلاب الأردن". تهدف الدراسة إلى الكشف عن تأثير وسائل التواصل الاجتماعي والشبكات الاجتماعية على الشباب في الجامعات الأردنية . أجريت هذه الدراسة على عينة من الطلبة من جامعة البلقاء التطبيقية وجامعة عمان الأهلية، وبعد استحضار الاطار المعرفي والمرجعي للدراسة، حاولت الدراسة تؤطير الجانب الميداني بالاستناد إلى الأسس المنهجية والتحليلية بتوظيف اللمنهج الوصفي. كشفت نتائج الدراسة أن هناك علاقة تفاعلية تتجلى في أشكال متنوعة شملت في الأساس الممارسة والافعال الإنسانية في مظاهرها المتنوعة .كما أظهرت أيضا تأثيرها على الممارسات الفردية والجماعية وعلى الخصوص على مختلف السلوكيات الشخصية والعلاقات مع الأسرة والعلاقات مع الأقارب والأصدقاء. وهي تحولات تتجاوز اللحظات التواصلية المباشرة.

3-**الدراسة الثالثة:** أشارت الاستاذة والباحثة " برنار هاركوت "،" " Bernard E. Harcourt "، من جامعة كولومبيا، في كتاب مشهور، جاء تحت عنوان "مجتمع العرض (الانكشاف). الرغبة والعصيان في العصر الرقمي"، أن الأشكال التقليدية للهيمنة والقوة والسلطة التي تلخص في (الانضباط والقمع والمراقبة) قد تغيرت في الوقت الراهن وأخذت أشكالا متنوعة تقوم على استغلال المعطيات الرقمية وما ينتج في الزمنية الافتراضية. وقد توصلت الباحثة إلى أن الكثير من الممارسات الرقمية المتزايدة، تعتمد على الرقيب الالكتروني والرقمي الذي يستخدم التطبيقات "المجانية" كتحديد الرغبات الإيجابية، بالاشتراك عن طريق النقر على "علامات التفضيل"، أو "المشاركة " أو "تقاسم المضامين" "...يتم كل هذا في سياق تبحث فيه الذات الانسانية لتحقيق التواصل من خلال الرغبة في الظهور والاستعراض والكشف. وهذا ساهم بتقليص من الوجود الواقعي للفرد باستغلال واسع للمعلومات الشخصية والبيانات المتعلقة بخصوصياته وأنشطته واهتماماته التي يقدمها طواعية وبالمجان للأخر.

3- **الدراسة الرابعة :** ركزت هذه الدراسة الموسومة بدرجة التأثيرات الإيجابية والسلبية لشبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر طلبة الجامعة الألمانية الأردنية على الاليات التي تسمح بالتعرف على أكثر الموضوعات الإعلامية التي كان لها حضور في الفضاء الرقمي وبالتحديد في وسائل التواصل الاجتماعي ومساءلة أهمية ووظيفتها وتحديد درجة تأثيرها الإيجابي والسلبي في نظر طلاب الجامعة الألمانية الأردنية .ولإبراز ذلك تم استخدام المنهج الوصفي، المساعد على فهم الظاهرة وتفكيكها بالتركيز على المعلومات والمعطيات المتحصل عليها عن طريق الاستمارة . أظهرت النتائج النهائية بعد التحليل أن هناك تصنيف للحالات والحضور الإنساني وعلاقاته الاجتماعية بالزمان والفضاء والنسيج الاجتماعي وبالاخرين والارتباط والتمركز حول الذات والترويج عن النفس والتعبير عن الاحاسيس والمشاعر .كما بينت الدراسة الروابط التي تحيل إلى العلاقات والموضوعات الجنسية والوضوعات

المتصلة بالقضايا السياسية بفروق إحصائية متباينة بين الذكور والاناث . في مقابل ذلك، كشفت الدراسة نظرة المبحوثين عن بعض القيم السلبية التي جاءت بنسب دلالية مختلفة بين جنس الذكوري والاناث.

4 – الدراسة الخامسة: تتناول مساهمة "مارك دوغان"" **Marc Dugain** "، و"كريستوف لابي"" **Christophe Labbé** " والذي جاءت تحت عنوان "الإنسان العاري: الدكتاتوريّة الخفيّة للرقميّة"، في كتاب مترجم من طرف الباحث "سعيد بنكراد "، الصادر عن منشورات المركز الثقافي للكتاب، الكثير من القضايا المرتبطة بالعالم الرقمي وأثاره على الفرد والمجتمع. لم يتردد أصحاب هذا الكتاب كثيرا في الكشف وبأمثلة واقعية عن الاستراتيجيات والاليات التواصلية الرقمية التي تستخدم لجعل الفرد الفائق يكشف طواعية عن هوياته الشخصية بكل تفاصيلها. وهذا ما يشير إلى بروز ما يسمى بالعبودية الطوعية والارادية للفرد الذي يعيش في هذا العصر الرقمي. كذلك، شملت المحاور المركزية للكتاب إشارة واضحة إلى "المؤامرة السرية" والاتفاق السري بين المؤسسات التكنولوجية الكبرى المتعددة الجنسيات والخدمة السرية الامنية الأمريكية، لغرض تنفيذ مخطط "المراقبة الجماعية" باستخدام التطبيقات الرقمية ومختلف الأجهزة المساعدة على مراقبة الافراد المنتجين للمعطيات والبيانات بشكل مستمر، وتحويلهم إلى مستهلكين يتم استغلالهم في التسويق والتجارة والاقتصاد والسياسية والأمن. وهذا ما يجسد في نظرهم "الدكتاتورية الخفيّة.

4. الدراسة السادسة : ترتبط بموضوع "المراقبة العالمية في عالم ما بعد-إدوارد سنودن"، وهو مقال علمي نشر في مجلة "تواصل"*Communiquer* "في 2017. لم يتردد صاحب هذا المقال في تحليل الكثير من المعطيات والحقائق عن الوثائق السرية التي أشار إليها "سنودن " عن وكالة الامن القومي الامريكي والتي تؤكد مسؤولية النظام العسكري الامريكي في عمليات التجسس والتنصت على خصوصية الافراد للحفاظ على مصالحها. يلقي المقال بظلاله على حقيقة أن المخاطر والتحديات كثيرة، والاعترافات المقدمة من طرف " ادوارد سنودن " بالأدلة والتواريخ والوقائع، بينت على نطاق عالمي أسباب استغلال المعلومات وأشكال المراقبة والهيمنة على المنصات والوسائط الرقمية وفي الاجهزة الذكية. فالمقال يطرح افكارا تحليلية لإعادة التفكير في هذه الممارسات بنقد ومهاجمة الشركات الرقمية العالمية التي تشتغل بأجهزة رقمية وخوارزميات من أجل جمع المزيد والمزيد من البيانات لمساعدة الأنظمة السياسية والعسكرية في مراقبة الافراد. وهذا ما يثير قلق المختصين وعملهم على إجبار بعض الحكومات والمؤسسات على إعادة التفكير في علاقاتها مع هذه الشركات والمؤسسات العالمية خارج القواعد التنظيمية السائدة حاليًا.

1. مجتمع المر اقبة والسيطرة:

لقد رافق النمو والاستغلال الهائل للبرمجيات والاجهزة الرقمية التي تساعد على تحليل البيانات وتصنيفها وترتيبها ومعالجتها؛ بروز نشاط التسويق لرغبات وحاجات الفرد في الوقت الفعلي وبحالات من التعميم الشامل على الفضاءات الرقمية. فالحكم على خصوصيات الفرد، لن يكون كما في السابق، بالتركيز على حالات وأشكال التواصل التي ترتبط بعلاقاته الواقعية والاجتماعية في بيئته الخاصة وفي نسقه الاجتماعي، بل على تفاعلاته ومشاركاته في تقاسم الرغبات والحاجات التي تتجسد في العالم الرقمي والوسائط الاجتماعية.

وهذا ساهم في تحديد الآليات التي أدت إلى إعادة تأسيس "مجتمع المراقبة" في سيرورة تأخذ بعن الاعتبار أشكال جديدة من السيطرة القائمة على الأساليب الطوعية والناعمة من طرف المؤسسات والشركات العالمية الرقمية، فهي تعمل باستمرار لجمع البيانات الجاهزة التي يتم تداولها واستخدماها على المنصات الرقمية وعلى شبكات التواصل الاجتماعي. لا يتعلق الامر فقط، بعملية التصنيف والجمع المستمر للبيانات في الزمن الأصلي ومعرفة الطابع الاستهلاكي للفرد، بل يتعدى ذلك للتحكم فيها واستغلالها في المجال التجاري والأمني وحتى في السياسي والدعائي، وهذا بالاعتماد على البرمجيات والتطبيقات ومختلف أجهزة التفاعل التي يمكن أن تستخدم من طرف أكبر عدد من الافراد. وهذه الممارسة على حد تعبير الصحفي " Glenn Greenwald " الذي نشر اعترافات "إدوارد جوزيف سنودن"،" Edward Snowden "، حول المراقبة العالمية للإنترنت وللهواتف المحمولة ووسائل الاتصال الأخرى، ستشكل خطرا وتهديدا غير مسبوق على المجتمعات الديموقراطية وعلى حرية الافراد وحياتهم الخاصة. (Ramonet, 2015, p. 25)

وفي نفس المسار النقدي، يصف الناقد ورئيس تحرير "لوموند ديبلوماتيك ""إغناسيو راموني" "***Ignacio Ramonet***" أن هذه الثورة الرقمية تعمل باستمرار لضمان ممارسة إيديولوجيا التحكم والسيطرة على المجتمعات، فهو بذلك يشكك في شعار "الديمقراطية الرقمية" التي تبين في نظره، شكل من أشكال التحالفات بين-الدولة، وأجهزة الأمن العسكري، وبين صناعات الواب العملاقة -. ينظر إليها كأجهزة فعلية ضابطة لكل الافعال الانسانية والتي أعادت رسم حدود ونشاطات إمبراطورية المراقبة. هكذا، فإن هذا التنظيم الجديد بين الوكالات الأمريكية والمؤسسات الرقمية العالمية، يهدف إلى إعادة تشكيل مجالات وعوالم الإنسانية تحت المراقبة الارادية والطوعية، استنادا إلى المعطيات والبيانات التي تم الحصول عليها، خاصة الذاتية النفسية والثقافية والاقتصادية التي يقدمها ويعرضها الفرد بالمجان بانغماسه اليومي والدائم في العالم الرقمي والتعبير عن وجوده وحضوره باعتباره مرجعية ضرورية لا يمكن الهروب منها. وهذا ما اشار إليه الناقد والباحث الامريكي "نيل بوستمان " "Neil ***Postman*** " بقوله، إننا نخاف من سيطرة وهيمنة ما نريده ونرغبه ونفضله ونساهم بذلك بشكل أو بأخر في هذه توسع هذه السيطرة بشكل مباشر على سلوكنا وعلى كل ردود أفعالنا. (Laurent, 2020). لم يعد من الضروري اليوم إجبار الافراد على الانضباط والانخراط في عملية الرقابة بالإكراه والقوة، كما كنا في السابق، ولم تعد

المؤسسات بحاجة إلى الخدمات والاستراتيجيات السرية للتعرف علينا ومراقبتنا ومتابعة توجهاتنا وكل ما يتعلق بحياتنا اليومية، كما أنه لم تعد المعلومات المتعلقة بتفاصيل بحياتنا الخاصة، بحاجة إلى البحث العميق، لأننا أصبحنا نخضع في زمننا الراهن طواعية لـ "نظام" سياسي واقتصادي رقمي جديد يستطيع أن يكشف عن أسرارنا وأساليب حياتنا. وبالتالي، فإن "البيانات" المتعلقة بحياتنا التي نتفق ونوافق على مشاركتها وعرضها يتم "التحكم فيها" من قبل الشركات الرقمية العالمية ذات الطابع التواصلي (GAFAM) التي تعرف المزيد عن رغباتنا وأهوائنا أكثر مما نعرفه عن أنفسنا وعن نسقنا الذاتي وروابطنا الاجتماعية.

وهذا ما يشكل الفرق مع أنظمة المراقبة وسلطة الديكتاتورية الخفية الموجودة سابقا والتي أشار إليها " جورج أورويل " ***"George Orwell"*** في روايته الشهيرة عن "الأخ الأكبر" (1984) الذي يراقب كل شيء ويمارس حكمه الشمولي ومختلف مظاهر وأشكال الاستبداد والطغيان والمراقبة، فعلى عكس، ما أشار إليه "جورج "أورويل"، بتصوره "الاخ الكبير يراقبك" فإن المراقبة في الوقت الراهن أخذت اشكالا مختلفة بمتابعة تفاصيل حياة الفرد والبيانات والمعلومات التي يتركها بشكل أو بأخر على الفضاء الرقمي، خاصة في شبكات التواصل الاجتماعي .

في الواقع، لا يكمن اعتبار هذا التحول الذي ظهر مع الثورة الرقمية، كما قال "فرنسوا بيرنار " François Bernard " في كتابه الشهير "إنسان ما بعد الرقمي ،"L'homme post-numérique " ، تغييرًا تكنولوجيًا واقتصاديًا بسيطًا، بل يشير إلى ثورة أنثروبولوجية واجتماعية وسياسية، حيث يفسح المجال لتوسع المجدِّدات والمميزات والخصائص التي تكرس قيم الإنسان "الفائق" الذي يتم وضعه تحت المراقبة الطوعية، وهكذا يتم تأسيس قوة الأوليغارشية الجديدة على نطاق كوكبي واسع والتي تبحث باستمرار لتحديد طبيعة وخصوصيات الهويات المنفتحة، خاصة الاستهلاكية منها، لكن بأساليب التأثير الرقمية الجديدة. (Bernard, 2015) وهذا الجانب السلبي من الثورة الرقمية واستخدمها في الوسائط الاجتماعية الجديدة، ساهم ببروز المشروع الاستبدادي (المراقبة الشاملة) الذي يهدف في جوهره لغزو حياتنا وكشف أغوار الذات الانساني مع البحث المتواصل لتمديد البقاء والاستمرار في هذه الهيمنة، باستعمال مختلف الاستراتيجيات التواصلية الرقمية التي تقوم بتوجيه العقول وتشكيل سلسلة من الأحكام والعلاقات المبنية على الوجود على الواقع الافتراض. تكمن المعضلة في هذا السياق، في تجذر كل ما يتعلق بما تنتجه الوجود الانساني في عالم الفضاءات الرقمية، وهو ما يعنى، أن هذا العالم التواصلي الرقمي البديل يتحكم فينا، وجاء حسب الكثير من الباحثين والمختصين لتجاوز العالم "الحقيقي" المرتبط بنسقه الطبيعي الأصلي حتى يحل محله. وهذا ما سيؤدى إلى تجسيد نموذج التتبع المباشر لكل ما يقوم به الفرد من تعليقات واختيارات ومشاركات وتفضيلات وممارسات رقمية لتوسيع دوائر الاستبداد الرقمي الفعال والشامل. هذه النزعة الاستبدادية الشاملة تتوافق مع معطيات السوق الليبرالية الجديدة التي تفرض انساقا وأشكالا واستراتيجية تواصلية للسيطرة والهيمنة وتمديد نشاط الرقابة على المجتمعات والافراد، باسم الحرية وتأكيد الذات والانفتاح على العالم والتعليق المباشر على الاحداث بشفافية وإبداء الآراء وممارسة الديمقراطية والتواصل السريع والمتجدد.

والحال أن هذه الرقابة الجديدة، كانت محل دراسات متنوعة في السابق والتي أخذت زاويا تحليلية نقدية متنوعة وواسعة، بحيث أشار قبل ذلك الفيلسوف "ميشال فوكو" " ***Michel Foucault"*** إلى مراقبة العادات والسلوكيات وتمثيلات الأفراد لأغراض الهيمنة والتأثير وممارسة السلطة. لقد تحدث كثيرا عن "السلطة الحيوية" القائمة على نظام "البانوبتيكون " " Panoptique " (الشكل المعماري الذي يعود إلى جريمي بنتام 1748-1839) والذي يوفر رؤية كاملة لنشاط الكائن البشري في حيز محدود وهذا ما يسمح بالسلطة باختراق كل نسيجه الاجتماعي ومراقبة كل حركاته وأنشطته. كما فضل استخدام مصطلحات "المراقبة التأديبية والانضباط" و "المجتمع العقابي" " société punitive " والمراقبة والعقاب" (Surveiller et Punir) ، تكتمل علة وجود هذه السلطة من خلال حضور الأجهزة التي تساعد على المراقبة والردع بالاستناد على أنظمة مؤسساتية وعلى البيئات المنغلقة، مثل المدرسة والثكنات والمصنع، الملاعب...، إضافة إلى هذا الطرح الذي قدمه "فوكو "، فقد تطرق أيضا الفيلسوف "جيل دولوز ""Gilles Deleuze " إلى مجتمعات "التحكم والسيطرة " "société de contrôle " أو "مجتمع الرّقابة" وهي إشارة إلى مجتمع ما بعد "البانوبتيك" معلناً أن "مجتمعات السيطرة الجديدة في طور استبدال المجتمعات التأديبية" من خلال التحكم المستمر على أنماط عيش الناس عبر استراتيجيات "التواصل الفوري" ووسائل السيطرة التي تبنى في الحقل الاجتماعي "المراقبة الدّائمة"، خاصة مع تحول نشاط الرأسمالية التي ابتكرت آليات جديدة تستجيب للتحولات التكنولوجية والعلمية وللتحديات الاقتصادية والبيئية التي يعيشها العالم.

وعلى عكس المجتمع التأديبي والرقابة واستراتيجيات السيطرة المشار إليها، فإن هذا النوع الجديد من التنظيم الرقابي الذي ظهر مع الثورة الرقمية وانتشار الوسائط الاجتماعية الجديدة، يعتمد وبشكل مكثف على التطورات التقنية ومختلف التطبيقات والبرمجيات التي تضمن مساحات للتواصل ومرونة في الاستخدام، ومزيدا من الحركة والانفعال خارج الحدود الوطنية والمحلية. ولكن يتم ذلك في الإطار المنتظم الذي يهتم بالمظهر والظهور بتسريع من إيقاع التواصل الفوري الدائم بأشكال تعبيرية تستمد قيمتها الأساسية من علاقة الفرد بعالمه الرقمي وليس الخارجي والطبيعي. واستنادا إلى هذه الرؤية، فإن أغلب الممارسات تعبر عن هيمنة نموذج الكشف أو العرض المجاني لكل اسرار ومعطيات الافراد بحجة الانخراط في التواصل الفوري والسريع الذي يلبى كل رغبات وحاجات الأفراد على الفضاء الرقمي من خلال، العودة إلى الصفحات التفاعلية، والصور والفيديوهات وفضاءات الدردشة والبريد الالكتروني، والرسائل والنصوص الصغيرة، تطبيقات التفاعل في فضاءات ومساحات الزيارات والمشاركات وطبيعة المحادثات.

(Harcourt, 2020) تشرح الفيلسوف الأمريكي "بيرنار هاركورت "Bernard E. Harcourt," صاحب كتاب "La Société d'exposition "، "مجتمع العرض أو الكشف"، أنه من الخطأ مقارنة شركات المراقبة الرقمية بأشكال وانظمة المراقبة القديمة، لأنه على عكس ذلك، نحن اليوم لسنا في حالة القمع المركز لرغباتنا وافكارنا وحاجتنا ولعلاقاتنا، بل تبنت الشركات المهينة حاليا مركزيات تجعل للفرد الفائق حضورا مميزا في الوسائط الاجتماعية ويعمل على البحث الدائم لتغيير رؤيته للعالم ولنمط تفكيره ووجوده. الأمر لا يتعلق بمراقبة رقمية شاملة وفق شروط الاستخدام التي يلزم الموافقة عليها إجباريًّا وبصورة مسبقة للولوج إلى هذه الفضاءات، بل بفرض مراقبة على المحتويات، وكشف بيانات المستخدمين للتحكم في اختياراتهم وحرياتهم، معتمدة في ذلك على التطبيقات وعلى الشبكات الاجتماعية. يقول "هاركورت" أن هذا التشكيل الجديد لعالم الرصد والمراقبة يدخل في منطق "النيوليبرالية" الذي سمح ببروز مجتمع العرض (الانكشاف) الطوعي لكل شيء، متجاوزا بذلك كل الممارسات التي تركز على فعل الاكراه الانضباط أو الرقابة، لأنها تقوم على استراتيجية الشفافية الافتراضية الجديدة وتحقيق الالفة الرقمية بمسايرة الزمن الاني التي يدفعنا إلى الانكشاف وعرض ذواتنا وأسرارنا دون إكراهات، والدفع بالفرد للانخراط في هذا المشهد الرقمي الذي يحمل الى جانب المعطيات الحسية والنفسية، الكثير من التفاصيل التي تشمل مجالات الترفيه والرغبات الفردية، الأحكام الإيديولوجية والدعائية...، وبهذا، لم يعد منطق اختيار المضامين قائما على أساس درجة أهميتها، بل على أساس قدرتها على تحريك المشاعر والاحاسيس وتشجيع المستخدمين والزوار لرؤية ومتابعة محتويات بعينها .(Servan-Schreiber, 2010)). وهذه القراءات التي قدمها "بيرنار هاركورت" تعتبر لدى الكثير من النقاد، محاولة جريئة ودراسة عميقة للحديث عن الخصوصيات السلبية للتكنولوجيا الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي التي ساهمت بقدر واسع في اختفاء الحدود بين الدولة والمجتمع والتحكم في خصوصيات الفرد لصالح سوق البيانات أين يلعب فيه الفاعلون الجدد دورا مهما لتعزيز مصالحهم وبسط الهيمنة خاصة التجارية منها (Pele, 2017, pp. 22-24) يقول "برنارد هاركورت" في هذا الشأن، تعمل الثورة الرقمية طوال الوقت على توجيه الرغبات للوصول إلى كل شيء، من خلال تزويدنا بالألعاب والتطبيقات وإغوائنا عبر الشبكات الاجتماعية خارج العامل الذي يدفع بالإحساس والشعور بالواقع... ويتم ذلك، بالاستعانة بمختلف التجهيزات التي تجعلنا "نعيش في عالم من الشفافية". لذلك يدعو إلى ضرورة تحرير أنفسنا وذواتنا من هذا العالم الرقمي و الافتراضي الذي نكشف فيه عن أنفسنا، خاصة من خلال الشبكات الاجتماعية أو تبادل البريد الإلكتروني أو حتى في عمليات البحث على موقع " Google " أو استخدام التجهيزات أو التطبيقات الرقمية، فمثلا الساعة الذكية "Apple Watch " التي تنتجها شركة" Apple Inc" ، والتي تشتمل على عمليات متنوعة، منها التعرف على اللياقة البدنية والقدرات الجسدية ومعرفة عدد ضربات القلب والرد على مكالمات الهاتف وغيرها من المواصفات الاخرى، تستخدم أيضا لأغراض المراقبة، و تعبر عن الكثير من المخاطر والاختراقات، لأنها تتعدى خدماتها الاصلية وامتداداتها الحقيقية في الاشتغال والاستخدام، بفضلها يمكن الوصول إلى جميع حركاتنا وأنشطتنا وتنقلاتنا اليومية والحصول على معلومات مجانية عن حتى على صحتنا من طرف المؤسسات العالمية، وبالتالي سنساهم في تقديم الكثير من المعلومات المجانية لهذه الشركات وبدون وعي حقيقي بذلك (Azoulay , 2016). أوضح "هاركورت" كيف أن نظامًا جديدًا من الخضوع والسيطرة قد ترسخ تدريجياً، بحيث يشارك الأفراد مشاركة كاملة في توطيد علاقات القوة المهيمنة الجديدة هذه، باستخدام التجهيزات والبرمجيات والتطبيقات التي تسمح بالكشف عن كل ما يتعلق بالحياة الخاصة والمهنية الاجتماعية للافراد. وبالتالي سيرسم عمالقة الإنترنت صورة من المعلومات لخصوصيتنا، ويجمعون الكثير والكثير من البيانات حول أنشطتنا واهتماماتنا وعلاقاتنا، مع فرض رقابة شاملة على الذوات بمختلف الاستراتيجيات الرقمية. ومع ذلك، على الرغم من معرفة البعض منا باستغلال هذه البيانات لأغراض غير اتصالية، نواصل بنشر صور عائلتنا وأسرارنا والتعبير عن حالاتنا النفسية والعاطفية ونكشف عن خصوصياتنا. (Harcourt, 2020)

لذلك، فقد حذر الكثير من المدافعون عن الحريات المدنية والخاصة، من بعض الجوانب السلبية التي تشكلها خطورة هذه الرقابة الرقمية، وتوضيح كيف أن البيانات التي تستغلها الشركات المهيمنة، تشكل "تهديدًا غير مسبوقا وواسعا على مجال "الحريات الفردية". وهذا ما عبرت عنه الباحثة الامريكية في علم الاجتماع "شوشانا زوبوف " "Shoshana Zuboff " قائلة، لقد تحولت (GAFAM) إلى شركات لجمع البيانات الشخصية وبيعها وممارسة التطويع والتضليل الفعلي على المجتمعات، ويتم كل ذلك، على حساب خصوصية وأسرار وحياة الأفراد، وأشارت إلى ذلك في كتابها المشهور الذي يحمل اسم "عصر "رأسمالية المراقبة"" ***The Age of Surveillance Capitalism*** " والذي ترجم إلى اللغة العربية و الفرنسية. يتناول إلى حد كبير طبيعية المراقبة وأشكالها وغاياتها ومساهمتها بطهور رأسمالية المراقبة التي تتحكم في السلوك البشري(capitalisme de surveillance). (Zuboff, 2020)، وهذا للاشارة إلى إنتقال الراسمالية من نموذج صناعي يعمل لتكثيف وسائل الانتاج وزيادة انتشارها إلى نموذج المراقبة والمتابعة للتحكم في السلوكيات وتوجيهها وتعديلها .

والأمر لا يتوقف عند هذا النقد الصريح، فهي تظهر أن هذه المراقبة تؤدي إلى استخدام أجهزة متابعة رقمية لتعديل وتوجيه سلوكيات الافراد نحو مضامين وأشكال اتصالية تعبيرية محددة. "مثل" توجهنا للنقر على "الإشهار المعروض" وفقًا لتفضيلاتنا، أو الدفع لشراء هذه البضائع والسلع أو الاشتراك في برنامج معين من خلال البيانات التي تجمع يوميا... وفقًا للباحثة "شوشانا زوبوف"، فقد انتقلنا من مجتمع قائم على تقسيم العمل واقتصاد البضائع وتقسيم المعرفة اقتصاد البيانات إلى وسائل إنتاج المعنى القائم على اللحظة الانية واقتصاد الانتباه. وتضيف قائلة، لقد كنا نظن لفترة طويلة من الزمن أننا كنا نبحث في عالم "Google " العالمي وفي الشبكات الاجتماعية والمنصات الرقمية عن الكثير من المعلومات والعلاقات وعن حالات من

الإشباع الحقيقي لحاجتنا، لكننا الآن بدأنا نفهم جيدا وبشكل دقيق أن هذا العالم الجديد" Google" هو الذي يبحث فينا وعلينا ويراقبنا ويتقرب منا باستمرار ويتحكم في سلوكياتنا. وتقول الباحثة أيضا، " لقد افترضنا أيضا أننا نستخدم وسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق الكينونة العالمية، لكننا تعلمنا مع التجربة، بأنه يتم استغلالنا من طرف برامج التتبع والمراقبة والنظم الرقمية للتطبيقات من طرف الفاعلون الرأسماليون الجدد من أجل تحقيق الارباح وتحريك الالية الاقتصادية، فهي ترى أنهم يتلاعبون بالاقتصاد العالمي وبمجتمعنا وبحياتنا وخصوصياتنا دون عقاب ومراقبة قانونية، يكمن الخطر في نظرها، في تزايد المصالح التي تختزل الفرد بكل خصوصياته ومميزاته الانسانية والاجتماعية في عالم الاستهلاك واعتبار المستخدم كمنتج للمعطيات والبيانات التي يمكن استخدامها واستغلالها في العديد من المجالات التي تمتد من التسويق (التنبؤات السلوكية) والتجارة إلى الأمن وهذا ما يعرض المجتمعات والافراد للخطر، ليس فقط في مجال انتهاك الخصوصية الفردية ولكن حتى الديمقراطية نفسها مهددة بهذا التحول.(Zuboff, 2020) **والواقع، أن هذا التهديد المتزايد، قد أشار إليه الناشط والصحفي "جوليان أسانج"،**(Julian Assange) **ومؤسس موقع ويكيليكس (** WikiLeaks **)**، عام 2013، حيث كشف عن استخدام **أنشطة المراقبة الرقمية عالميا** من طرف المؤسسات العالمية والامنية مثل، ميكروسوفت، وفيسبوك، ويوتيوب... لغرض فرض "ال**رقابة الشمولية**" " surveillance totalitaire "، **وتتبع سلوكيات الأفراد، خاصة من طرف** وكالة الأمن القومي التي استخدمت في ذلك، برنامج "بريسم "PRISM" للتجسس .

2. تحولات الانا وهيمنة الاتصال الذاتي: ديكتاتورية الرؤية

تعتمد الوسائط الاجتماعية الرقمية التفاعلية بمختلف أنواعها ووظائفها، بشكل مطلق على المعلومات والبيانات بحضور الذات الفائقة التي تستند في حضورها على الفعل الاتصال الرقمي، فهي بذلك، لا تعلي من طبيعة الروابط الاجتماعية، لأنها تختزن الكثير من الانفعالات والشحنات العاطفية واللحظات الحميمية، خارج الزمن الأصلي للوقائع وللوضعيات الوجودية، وخارج المعارف الإنسانية المتعارف عليها اجتماعيا بكل مظاهرها واشكالها. يتم معرفة الواقع فقط من خلال الوسائط الاجتماعية، فبموجبها تتشكل مختلف التصورات وتظهر السلوكيات مع الاهتمام بالإحالة العرضية للأحداث بالمعطى المباشر وليس من خلال أساليب الحياة الفعلية في الوجود. يتم ذلك وفي الكثير من الأحيان في غياب عنصر التسييق ومعناه الجوهري والحقيقي. (غودار، 2019، صفحة 42) **لذلك، يقال عنها أنها وسائط لا تشكل العمق التواصلي والجوهر الذي يهتم بتفاصيل الوقائع، وقد انتشر هذا التوجه النقدي الذي أخذ حيزا واسعا في كل التخصصات، خاصة علوم الاعلام والاتصال والسوسيولوجيا، للتأكيد على أن الشبكات الاجتماعية ومختلف المنصات الرقمية، تعزز من المعيار الجديد الذي يقوم على تجاوز الإنسان العاقل المفكر (*Homo sapiens*) وإدماجه بطرق متنوعة مع الإنسان الرقمي (*homo numericus*/ا) ، والانسان المتصل(homo connecticus) . يمكننا القول، بهذا المعنى، أنها تفرض نسقيا الكثير من المحتويات والوقائع والاشتراك في البرمجيات، يتم كل ذلك في غياب** حضور المبادئ القاعدية للفكر الجوهري ولمختلف الموضوعات التي تساهم في تشكيل الحقائق المرجعية لإبراز المعنى.

لقد ترسخت الهيمنة على الواقع المصطنع أو الفائق في الفضاءات الاعلامية، لتصبح جزاء من واقعنا المعاش من خلال الاعتماد على أساليب وخطابات كثيرة، تركز على اللحظة التمثيلية والتواصلية الزمنية التي تبرز الواقع كمظهر وليس كجوهر. هذا التحول الذي يجمع بين السرعة والانسان والتقنية، يشكل في الأصل مثالاً على انتصار لغة الاتصال الرقمية، بفضل التبادل المكثف للرسائل والصور ومقاطع الفيديو والمعلومات والبيانات، وهذا ما يغرقنا في عالم ثقافة التواصل المفرط، و "نشوة التواصل" التي تحدث عنها من قبل الباحث والناقد الفرنسي "جون بودريار"*Jean Baudrillard*" ، وهذا بالاهتمام **فقط بالسطح الجوهري للعمليات الاتصالية عن طريق الانتقال من فعل الاهتمام بالمعرفة إلى الاهتمام بالمعلومات، وانحصار** دور الفرد المباشر والفعلي في الممارسات الافتراضية والتصوّرات الذاتية التي تهتم بالاستعراض والظهور، وهذه الاخيرة بحكم حضورها في هذا الفضاء تحول الفرد الى الذات الاستهلاكية بفضل الوعود المرتبطة بالحرية الزائفة **التي تتحكم في تحول العالم الحقيقي إلى "الواقعي الفائق" للهروب من جدلية جوهر وعمق المعنى** ومن رمزية الاشياء ومحيطها (Niklas, 2012, p. 197) وفي هذا الصدد، يرى الباحث" دومينك فولتون" " Wolton, ***Dominique*** " أن المعلومات في هذه الوسائط والفضاءات الرقمية لا تعطى الأهمية البالغة للبحث عن حقيقة الأشياء وإدراك الوقائع، نظرا لهيمنة " الاتصال الآلي" الذي يضفى الطابع الكمي وليس المعرفي على الكثير من المواضيع والممارسات، وهذه الحتمية الجديدة تتنافى مع الممارسات والروابط الاجتماعية التي تختزن الكثير من المعاني الأبعاد الرمزية، فهو يحرص على تأكيد المنطق الذي يشير إلى أننا "كائنات اجتماعية" ولسنا "كائنات معلومات فقط". وهذا ما يحذر منه، لأنه يعتقد أن هذا الحجم الهائل والضخم للمعلومات لا يؤدي إلى التواصل بمفهومه الحقيقي. (Wolton, 2016) ومن هذه الزاوية، فقد تطرق الكثير من الباحثين والفلاسفة إلى ضرورة التعامل بشكل نقدى مع هذا الواقع البديل والذي ينخرط في سياق التجلي والتمظهر والتسطيح التعبيري فقط.

استنادا إلى هذه النظرة النقدية في تشكيل الروابط وطغيان الذات وقواعد الأهداف الإيديولوجية، وتغير مستويات توزيع الأدوار والممارسات الاجتماعية والمعرفية، يمكن الحديث عن التحولات الجذرية التي أفرزتها هده الوسائط الجديدة والتي شملت كل الأنشطة والافعال المرتبطة بأنماط

الوجود والتفاعل واللحظة الزمنية التواصلية التي تعلى من شأن المشاركة والتواصل وتقاسم الاخبار بالتقنيات، خاصة الميديا الاجتماعية... لم تعد المسألة اليوم تخص المعرفة والواجب والنقد والشرط الإنساني... بل، أضحت مرتبطة بكيفية التواصل الأني وتأكيد وجود الذات على الشبكات وفي مختلف الوسائط غير المعهودة سابقا. وهكذا إذا كانت بعض التوجهات النقدية، تؤكد على ضرورة العودة إلى القواعد التي تجعل من حركة الوقت والزمن بعدا أساسيا للوعي والفهم والإدراك، فقد أصبح مجتمعنا في الوقت الراهن يخضع لزمن التواصل المباشر وللرؤية التي تفرضها فقط للعلاقات التي تنتجها سيرورة الاستعجال والآنية والفورية والسرعة وحالات الشعور العفوي بكل امتداداتها... هذه هي الانشغالات التي تطرق إليها العديد من الباحثين، ومنهم على وجه خاص الباحثة "نيكولا أوبير " Nicole Aubert " الذي تحدثت وأشارت إلى التحول الذي أفضى الى تحول المجتمع الذي تصفه بالمجتمع "الفائق الحداثة"، بحيث نجد فيه أكثر من أي وقت مضى المزيد من المفارقات، فهي ترى أن هناك حالة من التسارع والفورية وايديولوجية السرعة التي غزت وهيمنت على حياتنا، وساهمت في اتساع مجالات الاستمتاع أو المتعة المفرطة التي توفرها اللحظة الفورية والأنية ... (Nicole & Dufort, 2003)، لكن المشكل المطروح، أننا لم نأخذ بعد مقياسًا لهذا التغيير الذي يجعل من عملية البحث عن المعنى أكثر صعوبة، نحن نكتسب الكثير من الاشياء من السرعة، ولكننا نبتعد تدريجيا من عمليات التفكير القائمة على المنطق والتصنيفات المعرفية الخارجة عن نطاق الانفعالات، لذلك ليس غريبا أن تزداد يوميا حالات الضرر على الفرد والمجتمعات لتحقيق الغايات الذاتية، تظهر جليا من خلال : أسبقية وأولوية المستعجل على المهم، وأولوية التفاعل على الفكر والتمثيل المباشر على الأصالة. وتزداد حدة هذه الانتهاكات عندما ندع هذه القوى المرتبطة بالخوارزميات الرقمية تتعامل مع السلوك الفردي وتوجهه دن رقابة ومواجهة وبالتالي، سيفقد الفرد الكثير من خصوصياته ومرتكزاته الثقافية والاتصالية وعمقه وجوهره الإنساني في عالمه ونسقه الاجتماعي.

وفي هذا السياق، لقد حدد كل من «دينيس أوليفين" و" ألبا ميشال" والمحامي "ماتياس تشيتشبورتيتش" (Olivennes, Mathias Denis Chichportich, Albin Michel.) في كتاب يحمل عنوان " الشفافية القاتلة " Mortelle Transparence" أن طبيعة هذه الديكتاتورية الرقمية التي انتشرت على نطاق واسع، ليست فقط ايديولوجية جديدة للهيمنة على المجتمعات من خلال سلطة الرؤية، بل أيضا بمساهمة ملايين الأفراد الذين يقدمون كل شيء عن حياتهم، دون أن يجبرهم أحد على ذلك. والأسوأ من ذلك، أنها تجعل من الممكن تجسيد ما يسمى بـ"رؤية كل شيء"، و"قول وكشف وعرض كل شيء" في زمن أني ومتواصل. ولم يتردد أصحاب كتاب "الشفافية القاتلة " بتشبيه ذلك، بالشبح الذي يطارد ديمقراطياتنا والذي يوهم الفرد الفائق "برؤية ومتابعة كل شيء". والحقيقة، أن هذا التواصل المفرط والجذب غير الواعي يقوم في جوهره على فك علاقات الارتباط الاجتماعي، ذلك أنه كلما اتسعت وامتدت العلاقات في الوسائط الاجتماعية، كلما قلصت صلها ورابطتها بالحقيقة. (Denis & , 2018) واعتبرت الباحثة في علم الاجتماع "نيكول أوبرت" ومجموعة من الباحثين الاخرين، أن الفرد يخضع الآن وبشكل حصري لـ "استبداد الرؤية" " tyrannies de la visibilité "، حيث يتم التفاعل واستهلاك ما يتم عرضه على الشاشة والمنصات والوسائط الاجتماعية دون استيعاب شروط الكينونة الانسانية المتعارف عليها. فكل فعل لإدراك الأخر والعالم ولكل التجارب المعيشية، يجب أن يمر من اللحظة التواصلية الراهنة التي تجعل من الفرد مرئيا في حيز فضائي جديد، يتجاوز الكثير من الخصوصيات ومنها، الانتماء والسرية. رغم ذلك، فإنه حسب الكثير من التجارب، يشبع الرغبة الذاتية من خلال الانخراط والانضمام وتعزيز حالات التجلي والظهور، وهذا يعكس نمط وجود سلطة الرؤية التي تختزن في العمق صفات وتأملات "الذات المرئية" وليس الذات الفكرية والنقدية التي تعير الاهتمام بشكل عميق للوجود النفسي والاجتماعي، وهذا أدى حسب "نيكول أوبرت" إلى تحويل طبيعة ومركزية اشتغال الاطروحة الديكارتية الشهيرة "كوجيتو ديكارت" ، "أنا أفكر ، إذن أنا موجود"، فقد حل محلها مبدأ جديد يقول : "أنا أرى، أنا رأيت، إذن أنا موجود". (Aubert et al, 2011, p. 25)، من هذا المنطلق، سيعيش الفرد في عالم من نظام جديد يسمي عبودية المتعة والرغبة التي تفرضها مجالات الرؤية المتواصلة القائمة على الحضور الدائم على الوسائط لتأكيد الوجود الفعلي للفرد. يقدم" برتراند نيفين" Bertrand Naivin " مثلا واضحا عن هذه الممارسات، فقد أشار إلى "صورة السيلفي" باعتبارها ممارسة نرجسية لتمثيل الذات والمرتبطة بظهور الجمالية الذاتية، لم تعد الصورة تهدف إلى تقديم معطيات للتفكير، بل تهدف إلى "جذب الانتباه". وهذا يساهم كثيرا في إعادة تشكيل تصنيف مجالات النظرة والرؤية في هذا العالم وذلك بتحقيق وتجسيد المقولة التالية، "أنا أتخيل وأتصور إذن أنا موجود" وبهذا المعنى، لا ينظر إلى الذات من منظور أخلاقي أو فكري واجتماعي، لكن من منظور دائم يعمل على تجسيد البعد المرئي الذي يعطي معنى للوجود بصور وتمثّلات تقتضي إشباعا في "الأن" "وهنا".... وهكذا، فإن هذه القاعدة الوجودية الجديدة ستسمح للعوالم العاطفة والمشاعر والرغبات والغرائز والانطباعات الحسية المباشرة أن تحل محل المعنى والفكر. .(Naivin, 2016, pp. 113-114)

والواقع، أنها تشكل حالات من الادراك البصري التي تحيل إلى الوجود الإنساني، لكنها تقوم أيضا على تعظيم من دور الذات وتقديسها والإفراط في المشاعر التي يتم التعبير عنها، وهذا بالتركيز على الحالات الاستعراضية والتي يتضخم نطاقها بما يتناسب مع الشعور وحالات الانفعال. وهكذا فإن هذه المؤثرات أو المنبهات والاشكال البصرية تعتبر من أبرز المشاكل التي تطرحها الشبكات الاجتماعية التي ساهمت ببروز الهويات الافتراضية وتمثيلات الأنا في العالم الافتراضيّ، ويتم ذلك في غياب كلي لدور الفاعلية التأملية والتحليل التأويلي الذي يبحث بصورة عميقة عن المعطيات الرقمية واشكاله التواصلية، خاصة المرئية والتي نستهلكها على الدوام. وهكذا، فإنها تسمح بتشكل "الأنا الواجهة" أو الظاهرة، التي تأسر العين وتجذب الانتباه بالتركيز

على الحوافز الرقمية التي تجعلنا مرئيين في جميع أبعاد حياتنا والتي نعرض فيها صورا نعتقد أنها مثالية *ورمزية، لأنها ستستدعي من خلالها الاخذ بعين الاعتبار نظرة وحكم وتعليقات الآخرين دون تحديد هويتهم ومواصفتهم الجوهرية. وهكذا، يتم استبدال العلاقات المبنية على الكلام والبلاغة والمحادثة الاخلاقية والحوار الفعلي على سبيل المثال، بالفعل الذي يركز على المشاركة الجماعية للصور الذاتية، وعلى "حالات العرض والمشاهدة" وهي وثيقة الصلة بالتسويق الذاتي، حتى وإن كانت بدون معنى.* (Aubert et al, 2011). وهكذا، *ستصبح* الأسبقية للعاطفة على الفكرة، والشعار على الاقناع والبرهنة، والصورة الإعلامية والذاتية على الرؤية السياسية، كل هذا سيودي إلى فقدان شرط الوجود الاجتماعي، والتوجه للانخراط في نظرة وحكم الآخر التي تستغل أيضا بشكل خفي في مشروع المراقبة . (Aubert et al, 2011, p. 22). لا يكمن التهديد الحقيقي في زيادة هيمنة النظرة والرؤية السريعة على خصوصية الفرد في أبعادها المرتبطة بها، بل في الهيمنة المتزايدة التي تمارس على المجتمع من طرف عمالقة الواب، فلم يعد الفرد يفكر في العالم كما كان في السابق وإنما أصبحت المؤسسات العالمية بأجهزتها الرقمية تفكر في الذات التي تحاول الارتقاء بها إلى واقع المظهر والتفاعل والتواصل المستمر، *أي السماح بإظهار جوانب معينة من الحالات الحميمية والنفسية ليتم رؤيتها من قبل الآخرين، وهكذا يمكن للفرد أن يأخذ قيمة في أعين الاخرين،* من خلال سعى هؤلاء قبل كل شيء إلى تحقيق التمايز، الاهتمام، التقدير وبشكل مباشر. انطلاقا من هذا التصور، لم نعد بحاجة إلى المؤسسات الاجتماعية لتلبية حاجتنا وتأكيد رغباتنا وأشكال وجودنا، لأنه ببساطة يمكن للجميع تعزيز هويتهم وتجسيد ما سمى بالترويج للشخصية مهما كانت صفتها وهويتها، كأنها "علامة تجارية" (Aubert et al, 2011, pp. 25-37) يتم كل هذا في واقع افتراضي حلت فيه الرؤية محل الفكر والصورة الافتراضية محل الصورة الواقعية، وهذا **يلخص الطرح الذي قدمه "برتر اند نيفين"، " Bertrand Naivin " المختص في دراسات الحداثة الفائقة وعلاقتها الجديدة مع الذات والآخرين والعالم، بقوله: إن العالم الحقيقي والو اقعي ليس مرنًا بما يكفي للانصياع لإرادتنا و أفعالنا الخاصة. وهذا هو السبب الذي يقود الأفراد إلى إنشاء نسخ أخرى مفارقة له، تكون خلف الشاشة أو الفضاءات الرقمية المتنوعة. ويضيق قائلا: لقد قادتنا رغبتنا في اليوتوبيا دائمًا نحو العالم الافتراضي المثالي ولكن لأول مرة، يسمح لنا التقدم التقني بدفع التجربة إلى درجة نسيان أنفسنا في عالم خالٍ من الو اقع الثابت والاصيل والمرجعي.** (Sussan, 2018)

3. الشفافية: الديكتاتورية الخفية

أكد الكثير من الباحثين، أن هذا العصر الرقمي الجديد الذي أنتج عالم "الشفافية"، عمل أيضا على إعادة تشكيل وبناء الذّات وتحديد أدوارها ووظائفها من خلال الوسائط الاجتماعية ومختلف التطبيقات التي تتيح لنا "الظهور" وتأكيد وجودنا وحضورنا والكشف عن أفكارنا، وإبراز رؤيتنا، ونظرتنا للكثير من الاشياء والوقائع والاحداث، لكن على عكس ذلك، يمكن لهذه الشفافية العالمية أن تقود إلى ال*استغلال الكامل للحياة البشرية، وخرق مجال حق الخصوصية الفردية، خاصة مع هيمنة* النسق الاتصال الافتراضي المباشر والتفاعلي وتطور سوق البيانات والمعلومات الذي تسيطر عليه المؤسسات الرقمية العالمية وجماعات المصالح والنفوذ ووكالات الاستعلامات الكبرى .

نحن نشهد اليوم ظهور ثورة رقمية مست كل المجالات، ينطر إليها من الجانب السلبي" كالديكتاتورية الطوعية والناعمة" التي تسمح بقول ورؤية كل شيء في الزمن الأني والفوري"، وهذه الثورة هي ثمرة تقاطع بين التكنولوجيا المتطورة والأيديولوجيا الناتجة عن النظام الاستبدادي الأمريكي وعن مختلف أشكال العبودية الطوعية المفروضة من طرف الشركات الرقمية العالمية. في جميع الحالات، لا يمكن اعتبار الفضاء الرقمي فضاء محايدا، لأنه يوفر الإطار الاستهلاكي خارج أية مرجعية حقيقة أخلاقية أو اجتماعية، عادة ما يتم تبرير ذلك، بالمرجعية الدالة على حرية التعبير وممارسة الديمقراطية الشفافة والتعبير عن تفاصيل الخصوصيات الحميمية والتي يتم استغلالها وبدون إطار قانوني منظم . *فنحن سعداء للغاية بالفوائد الملموسة التي تقدمها لنا هذه التكنولوجيا الرقمية التي تتسم بالشفافية، ومنغمسون في غرائزنا الاستعراضية والنرجسية وفي المعلومات والبيانات المفتوحة والمتاحة ولكن هذا سيبعدنا مع مرور الوقت عن التجربة النقدية التي تكشف عن الجانب المظلم والمروع لهذه التقنيات التكنولوجية والتطبيقات والشبكات الاجتماعية التي تشتغل بقصدية بالاستناد* إلى القدرات التي لا يمكن تصورها في التأثير على هوية المستخدم وايديولوجيته والخاضع في جانب مهم منه لإكراهات نظام *تصنيفي يقوم على فقاعة الرفاهية التي تتحرك بخلفية رقمية لتلبية وخلق حاجات الافراد خارج مركزية العقل وتوجيهم إلى معلومات وتصنيفات ومحتويات جاهزة لقضاء وقتا أطول في تصفح وتقاسم الاخبار والمحتويات والاتصال بالتطبيقات الرقمية أكبر مدة ممكنة.* (Denis & Chichportich, 2018).

وفق هذا التصور العام، فإن الشفافية العالمية التي تتشكل بالاستناد إلى هذا الشعار التالي: "تحقيق مبدأ الشفافية التامة للجميع ومن أجل الجميع"، ستقود إلى تنظيم وترتيب استعبادنا بأنفسنا، كاستخدام الصور لجعل الأسطورة التمثيلية للأفراد مرئية والقيام بنشرها على نطاق واسع، ولكن أيضًا لإقناع أنفسهم بأهميتها وبصحتها والمساهمة في تقديم البيانات والمعلومات الشخصية والسرية للشركات العالمية " (Naivin, 2016, p. 10). أصبحت هذه الشفافية كأداة للسيطرة من طرف الشركات الرقمية العالمية التي تجمع الكثير من المعطيات عن هذه التجارب المختلفة للفرد من خلال النقر والابحار والظهور والتعليق والبحث والمحادثة على الوسائط الاجتماعية، وذلك، فنحن لا نبذل الكثير من الجهد للقيام بعملية التحليل

والقياس والتفكير وحتى النقد لما نقرأه وما نجده أمامنا على العالم الافتراضي من أخبار ومنشورات وصور وفيديوهات وأخبار، بالخصوص على شبكات التواصل الاجتماعي، وبالتالي تعطينا هذه السهولة المعرفية والاتصالية إحساسًا بأن كل تلك الأشياء والبناءات والخطابات المتنوعة من حيث الشكل والنوع والحجم أنها حقيقية، خاصة مع توسع مجال الاستخدام، وهو ما يجعل الفرد يؤمن بها ويشاركها بشكل سريع مع غيره. وقد تحدث الفيلسوف الألماني" Byung-Chul Han " مطولا عن مجتمع الشفافية، الذي ينظر إليه كشكل من أشكال الهيمنة والتوجيه القسري والسري التي تتخذ اليوم أنواعا كثيرة منها، المراقبة الكاملة والاستغلال الكامل باستخدام الكثير من التجهيزات الرقمية والبرمجيات والتطبيقات، والخدمات السرية ومنها على سبيل المثال، نظام فقاعة التصفية (la bulle de la filtre) التي صاغها "إيلي باريزر" "Eli Parise " في عام 2011، إشارة إلى كل أشكال الهيمنة الجديدة المفروضة على الفرد بفضل الخوارزميات ونظام الذكاء الاصطناعي ومختلف محركات البحث التواصلية التي تعطي الأولوية لعرض المضامين المشابهة والنتائج التي تدعم اهتمامات ووجهة نظر المستخدمين والمتتابعين دون أن يدركوا ذلك، بحيث تقوم بتوجيه المعلومات والمحتويات التي قد يفضلها المستخدم، للتأثير على سلوكه وتعزيز مشاركته المتواصلة والدائمة المستخدم من أجل بيع انتباهه. وبهذا يتشكل الاعتقاد الذي يؤكد أنه يمكننا الوصول إلى المعرفة والمعطيات الموضوعية والقابلة للمتابعة، وهذا عندما يُعرض علينا في الفضاء الرقمي المحتوى الذي نريد رؤيته فقط أو نفضل متابعته ومشاهدته أو قراءته، ونتيجة لذلك، يصبح المستخدم منفصلًا عن المعلومات والانشغالات التي لا تتفق ولا تتماثل مع وجهات نظره، والمختلفة مع تصوراته وثقافته واهتماماته. وهذا ما دفع، "بيونغ تشول هان " بتوجيه انتقادات واسعة لهذه الهيمنة، كونها تستغل في الوقت الفعلي وبشكل واسع، استراتيجيات "اقتصاد الانتباه" من طرف عمالقة الويب . فهو يرى، أن هذه الشفافية لم تبقى كما كانت في السابق ولم تحتفظ على دورها كممارسة أيديولوجية إيجابية للذات الانسانية والعلاقات الاجتماعية، وباتت تستخدم في البعد الاستبدادي الايديولوجي التي تبحث باستمرار عن البيانات والمعلومات التي تخص الفرد والمجتمع. (Byung-Chul Han, 2017)

ولعله من البديهي، تزايد اهتمام الشركات العالمية بهذه الشفافية في مجال العرض التجاري، بحيث تمكنت من تصميم استراتيجيات تسويقية رقمية جديدة بناءً على تحليل آثار وسلوك متصفحي ومستخدمي المضامين المختلفة والاستجابة لتوقعات الأفراد و"المستهلكين" واحتياجاتهم. *وفي هذا الإطار، لقد شرح "استن روزنشتاين"" **Justin Rosenstein**" الذي ابتكر "زر" "أعجبني"* سنة 2007، بأن الدافع والهدف الأساسي وراء اختراع وابتكار هذه الايقونة "زر" "أعجبني" في مؤسسة" ***Facebook*** *" هو تقييد المستخدمين والمتتابعين وحتى المشاهدين سلوكيا ومعرفيا، لضمان أقصى ما يمكن الوصول إليه من معلومات وبيانات الافراد من خلال التتبع والتعقب والمشاهدة المتواصلة لأنشطتهم. ولا تكمن الغاية وراء ذلك في تجسيد حالات من التقدير والاعجاب المباشر والتعبير عن الرأي بشكل تواصلي أني* ودعم للمحتويات التي تتنوع بين المنشورات أو الصور الفوتوغرافية أو التعليقات أو التغريدات...، *لأنه يخفي إيديولوجية تواصلية تنظر إليها كتشكيل أساسي لفعل "التجنيد الالزامي" من خلال عمليات النقر، والانضمام إلى قائمة المستخدمين "المعجبين" الآخرين. ويؤكد قائلا، كنا ندرك في مؤسسة " **Facebook**"، بشكل خاص أن الهدف الاساسي من هذه الإيديولوجية الجديدة هو الاستجابة لحاجات اقتصادية وتجارية، عن طريق فرض أليات وتقنيات رقمية لاستخدام شكل الاتصال الذي يختزل مهامه في جذب الانتباه المكثف والتركيز على الاستقطابات التي تتجسد بالخصائص العرضية لغرض تحقيق سيرورة التماهي والتواصل المباشر الاني والسهل. ينظر إليها على أنها عنصر تواصل رقمي، وسلوكي، ونفسي جديد يدخل في مجال "اقتصاد الانتباه"، خاصة في جانبه المرئي.* وتبقى النقطة المهمة في تصريح *"استن روزنشتاين"* أنّ وظائف وخصائص "رمز الإعجاب" وحتى "اللايكات" تشبه تماما الهيروين، فهي تعطي ضجيجا مشرقا من المتعة الزائفة، وتستخدم كأليات الكشف لمعرفة مختلف التفضيلات وال*انطباعات والانفعالات السيكولوجية* للمستخدمين وكألية للاستفتاء *وكمؤشرات للتقييم والقياس ومتابعة الافراد*. وهذا يبين مدى انتشار ممارسات المراقبة في شبكات التواصل الاجتماعي بشكل واسع والتي تمس مجال وفضاء الحريات المدنية وهوية وخصوصيات الافراد. يتم ذلك من خلال معرفة وتتبع مواقع الزيارات، طبيعة التصفح، التعليقات، التغريدات، الإعجاب، رصد ردود الأفعال... والحقيقة، أن فضيحة شركة " Cambridge Analytica"" كامبريدج أناليتيكا" البريطانية المختصة في جمع البيانات وتحليلها، بينت بشكل واضح امتداد مجال الانتهاكات العميقة للبيانات الشخصية على الشبكات الاجتماعية وعلى وجه خاص في "موقع فيسبوك" واستخدامه لأغراض دعائية وسياسية، حيث لعبت دورًا قويًا خلال التصويت لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فقد تم استخدام بيانات المستخدمين واستغلالها في مجال الدعاية السياسة والتلاعب بالرأي العام دون موافقتهم وبشكل غير قانوني. (Francesca, 2015, p. 212) نلاحظ أن مخاطر هذه الظاهرة غير المسبوقة، يمكن أن تثير الكثير من التساؤلات العميقة في الأداء السياسي وأليات التأثير الانتخابي، التي تستغل بيانات الافراد على الفضاء الرقمي بشكل سري، وتشكل عاملاً جديدا لم تشهده المجتمعات لإضعاف الديمقراطيات. وهكذا، فعمليات الاستحواذ والتحكّم الذي تمارسه كبرى الشركات العالمية على عالمنا وعلى عقولنا وعلى مؤسساتنا الاجتماعية وعلى رغباتنا، سيكون الهدف الرئيسي من وراء ذلك، تحييد المواطن عن جوهر حقيقة المحتويات والاحتفاظ فقط بالمستهلك المنتج للبيانات.

وهذا ما أكده " مارك دوغان"، و"كريستوف لابي" في الكتاب الموسوم "بالرجل العاري" "ديكتاتورية غير المرئية "، الذي قدم نظرة نقدية لدور الشبكات الاجتماعية والمؤسسات الرقمية المسيطرة "GAFA" على الافراد، والتي تتحكم وتسيطر بشكل واسع على الحياة العامة والخاصة للأفراد.

(دوغان ولابي، 2020) وفي نفس الزاوية، يأتي كتاب" أندرياس برنارد "***Andreas Bernard***" بعنوان: "انتهاء عصر الخصوصية، انكشاف الذات في الثقافة الرقميّة"، ترجمة، الدكتورة سمر منير في 2020 ، كمثال صارخ وحقيقي للحديث عن كيفية قيام هذه الوسائط الرقمية بتهديد كل مجالات الديمقراطية، بحيث يتم تجميع بياناتنا الشخصية من قبل جهات سرية لتجسيد ثقافة القياس الكمي للذات، وهي بذلك، تعمل لجعل ذواتنا مكشوفة أو متاحة في شبكات الإنترنت، بفضل التقنيات الرقمية والتطبيقات والبرمجيات التي تسللت إلى الحياة اليومية ورسخت نفسها كأبعاد مركزية في مفاهيمنا وعالمنا الاجتماعي والثقافي. (Bernard & Valentine , 2019)

4- إيديولوجيا التواصل الرقمي وقصدية البعد التجاري .

أرجع الكاتب والناقد، "إريك سدان"" Eric Sadin" طبيعة تأثير التكنولوجيا الرقمية على مجتمعاتنا، إلى: (هيمنة الخوارزميات) على كل حياتنا اليومية، وزيادة نشاط وتسلط (سيليكون العالم) في الاقتصاد العالمي، والاحتكام إلى (الذكاء الاصطناعي)، في الكثير من الممارسات والانشطة. فهذه العناصر فرضت نفسها على كل المجتمعات، لترسخ وتغذية "الرؤية المتضخمة للذات" لتقوض أي علاقة تقوم على الطابع الاجتماعي وعلى الوجودية المجتمية، تميل إلى تشكيل جميع علاقاتنا مع العالم، خارج التوجهات المعقولة والنزعات المثالية والموضوعية، فالكل يخضع الآن لما يسميه "بالشمولية الرقمية الناعمة" .«soft-totalitarisme numérique» التي تعمل على اكتشاف أثار الذات وتنظيمها في العالم الرقمي بالتعريف والتحديد الكمي وزيادة التحكم فيها، لتوجيه القرارات الفردية والجماعية بالعودة إلى الخوارزميات التي تلخص الواقع في الاغراء، والتواصل الرقمي الذي تشبع الرغبات الانية انطلاقا من فورية العرض والاستهلاك لمختلف المحتويات، خاصة التجارية منها. فهي توظف في خدمة الاقتصاد الرقمي الذي يؤسس في النهاية لممارسات تتجاوز البعد البيولوجي والواقعي للفرد وتشكيل الحوافز الاستهلاكية والتسويقية لكل مجالات الحياة بإقرار معرفة رقمية قابلة للتعميم وتبقى لكي تبقى متجذرة في حياة الافراد". (Wattebled, 2018, pp. 199-201). فهذا النموذج الاقتصادي الرقمي "لوادي السيليكون"، وللمؤسسات العالمية المهيمنة، لا يهتم في سياق اللحظة الانية سوى، "بوقت الانتباه" الذي ينظر إليه كمعطى منطقي للحصول على الموارد المالية، فكلما زادت حالات استهلاك أعيننا وآذاننا وعواطفنا لمضامين الفضاءات الافتراضية من قبل تطبيقات وخدمات وخوارزميات هذه الشركات الرقمية، زادت هوامش تحقيق الأموال والارباح التي تكتسب من البرمجة الطبيعة للرسائل والمحتويات الاشهارية بشكل تفاعلي وتوجيهي. (Vinogradoff, 2017)

وهكذا، لم يعد المستهلك هو من يتصرف ويسير بخطى عقلانية وسريعة إلى عالم المنتوجات ويبحث عنها، بل العكس، اليوم وعلى نقيض ما كان موجودا في السابق، أصبح المنتوج هو الذي يتوجه إلى المستهلك ويتسلل إلى وجوده وإلى عالمه الذاتي وخاصة العاطفي والإدراكي عن طريق التطبيقات التي تعرض استراتيجيات وخدمات جديدة وفائقة، وبأليات إقناعية رقمية "لجذب الانتباه" بشكل متزايد. وتكمن الغاية الجوهرية من هذه الاستراتيجية القائمة على التمثيل الانفعالي المباشر بالمشاركة المستمرة للفرد، على استغلال بياناته التي يتم استخدامها في مجال "التنبؤات السلوكية" الوثيقة الصلة بحقل التسويق الجديد، ويتم ذلك بالاستعانة بخوارزميات الذكاء الاصطناعي. بهذا المعنى، صرح، "أندرو ليدفينا"" Andrew Ledvina"، الذي شغل منصب سابق في شركة "Facebook"، أن المهام والأدوار المركزية لمعظم الموظفين الذين يشتغلون في قسم البيانات في هذه المؤسسة هو التأثير على سلوكيات الافراد وتغييرها والدفع بالفرد بالانهمام في عالم الاحساس والانفعال والمثيرات المتنوعة، لغرض وضعه وتوجيهه في سياق خاص ليتكيف مع الانماط الجديدة من التأثير الرقمي. ويضيف قائلا، يفعلون ذلك طوال الوقت لجعل الفرد يحب ويفضل ويتأثر أنيا بالكثير من العناصر التمثيلية والقصص السردية المتنوعة والبرمجيات التي تلتهم العالم. تستخدم فيها تقنيات رقمية بخصوصيات فنية تتحكم في السلوك الانساني وتتعدى التجارب المعيشية في الفضاء العام، ويتم تجسيد ذلك بأشكال مختلفة من الافعال وأشكال التمثيل والتركيب القائمة على الاستغلال الاقتصادي والافتراضي لاهتمامنا، منها النقر على المزيد من الرسائل والصور الاشهارية وقضاء المزيد من الوقت على الموقع والمشاركة في الممارسة التسويقية. " وقد صرح أيضا "***Tristan Harris***" "تريستان هاريس "، الذي اشتغل كخبير في مجال اخلاقيات التصميم في مؤسسة " Google " أن مختلف التطبيقات الرقمية المتاحة للأفراد والتي تنتشر في الفضاءات والمنصات، خاصة على شبكات التواصل الاجتماعي، تسيطر بشكل حسي على مجال انتباه الافراد وعلى مختلف اهتماماتهم ودفعهم للاستمرار في المشاهدة. وبالتالي، فجميع العقول البشرية يمكن اختطافها وتطويعها والتأثير عليها، مؤكدا، أن كل الخيارات التي تتخذ بأشكال مختلفة من طرف الافراد على الانترنت، يمكن استبدالها بخيارات جديدة لا تتوافق مع احتياجاته وانشغالاته الحقيقية... فهي بذلك، لا تتم بحرية كما يعتقد البعض ولا تضفي حالات الوعي على التشكيلات والتركيبات والتمثيلات القابلة للإدراك، خاصة الصور والفيديوهات... ويضيق قائلا، نحن نعيش اليوم تحت سيطرة عالمية جديدة من مجال الاقتصاد، يسمى بـ" اقتصاد الانتباه" (Sadin, 2016). هذه النظرة الاستراتيجية التي تهدد الذات تضعنا اليوم في صُلب علاقتنا التفاعلية العابرة بالوجود وبالعالم الافتراضي وليس بالفعل والإنتاج ونمط وجود الانسان الحقيقي ولا تستند إلى الوضع الطبيعي والتقدير العقلي الذي يتكيف مع خصوصية الواقع؛ فما هو أساسي بالنسبة لهذه للشركات الرقمية هو تمجيد عوالم الأهواء والمحسوسات والانفعالات بدلاً من الاسس المعرفية للعقل والتميز الواعي الذي يساعد ويقود لتشخيص ايديولوجية هذه التطبيقات الرقمية (Mary, 2018)

و هذا ما ندد به أيضا ولسنوات طويلة، الموظف السابق في قسم "اشهارات لمحركات البحث"، "جيمس ويليامز " " James Williams"، لمؤسسة

"Google " الذي استقال في عام 2016 للتفرغ لتحضير شهادة الدكتوراه، وهذا قبل أن يصبح عنصرا فاعلا في " Time Well Spent " (*). وفي خضم حديثه عن "اقتصاد الاهتمام"، نوه إلى أن الشركات الرقمية الحالية تقوم بزيادة الوقت الذي نقضيه مع المنتجات المعروضة وفي مشاهدة المضامين المختلفة، عن طريق قوة فعل النقر وجبروته، فهي عادة ما تستخدم برامج واستراتيجيات رقمية تجعل من التأمل المباشر في الصفحات الإشهارية مجالا انفعاليا له القدرة لتفعيل نشاط الادراك في متابعة ورؤية مقاطع الفيديو قيد التشغيل التلقائي أو في الواجهات الرقمية المصممة بشكل بارع، لجذب انتباهنا وتشجيع وزيادة الزيارات ومضاعفة التنبيهات لجذب أكبر عدد ممكن من الأشخاص. وهذا، مبرمج بشكل ايديولوجي لمعرفة بيانات المستخدمين والمشاركين والبحث الدائم لتحقيق على عائدات مالية كبيرة من الاشهارات، من خلال الحسابات الرقمية، باعتماد "اقتصاد النقرات". " clic". وفقًا لما قاله ""جيمس ويليامز " فإن مصممو المحتويات الرقمية والتفاعلية، يبحثون في المقام الأول لتحقيق شروط التواصل الفورية المساعدة في جذب انتباه الزوار والمستخدمين والمتابعين، الذين يتفاعلون بانتظام وعلى مدى فترة طويلة لتحقيق الاشباع الفوري والحضور في الزمن الفعلي، وبهذا يتم الولوج طوعيا إلى "اقتصاد الانتباه" "الاستيلاء التعسفي على انتباهنا" أو "اقتصاد الإلهاء" وخاصة الالهاء المعرفي الذي يجرد الأفراد من إنسانيتهم وتاريخهم وقيمهم وحاجاتهم الأساسية، وما إلى ذلك. في الوقت نفسه. يجسد هذا التمركز الانتباهي فكرة جوهرية مفادها، أنه يجب الاهتمام بالعنصر البشري باستثارة أحاسيسه وجذب انتباهه في اتجاه واحد وفي اللحظة الانية وبدون احترام حريته في الاختيار وحاجاته الاولية.

تعتمد هذه المؤسسات العالمية على عملية حساب عدد المستخدمين والوقت الذي يقضونه في الفضاء الرقمي ومستوى ودرجة وطبيعة التفاعلات ("الإعجابات" ، "المشاركات" ...). وهذا ما يؤكده "جيمس ويليامز " بقوله، لقد رأيت كيف تقوم هذه المؤسسات بصناعة تطبيقات وتصميم استراتيجيات الإشهار بمختلف مستوياتها واشكالها وأحجامها وانواعها، الذي يختصر مجالها الفعلي في اقتصاد الاهتمام. وهكذا، فهذه البناءات الاشهارية التي تندرج ضمن عوالم حسية ومرئية، تتميز بانفصالها الكلي عن أنماط التفكير والسلوك القائمة على الوعي والقصد لتحقيق الرغبات أو الاختيارات الحقيقة، وهي في نهاية المطاف، تقوض من قدرات التفكير والتنظيم الذاتي، فضلاً عن التشجيع أو تحفيز الافراد لتحقيق أهداف تافهة وعرضية وغير مهمة، خاصة مع تزايد نشاط الأتمتة والذكاء الاصطناعي الخارق. (Williams, 2018) وفي نفس، الإطار، انتقد المدير التنفيذي السابق "لمؤسسة لفيسبوك "، "شاماث باليهابيتيا" ،" Palihapitiya Chamath " ، دور الشبكات الاجتماعية، بقوله إنها "تدمر مجتمعاتنا" " détruit nos sociétés ". معربًا في الكثير من المرات عن أسفه وشعوره "بالذنب الشديد"، بشأن مشاركته ومساهمته في تطوير مؤسسة " Facebook "، حيث اتهم بشكل مباشر وسائط التواصل الاجتماعي، بأنها تمارس نوع من اكراهات التوجيه للمضامين المختلفة والاستحواذ على وقت اهتمام الافراد،(Vincent, 2017) عن طريق الخوارزميات التي تعمل على فرز المحتوى وترتيب أولوياته من أجل تقديم لكل مستخدم ما يرجح أن يقدّره ويفضله أكثر، وضمان مشاركته المستمرة على نطاق واسع وحضوره التفاعلي، وهذا من شأنه أن يجعل من الممكن إخفاء غاياتها التجارية وأهدافها الايديولوجية الحفية والتركيز على أبعادها الاتصالية.

وفي نفس الزاوية، يقول الباحث "رومان بادوارد" "Romain Badouard " أن المؤسسات العالمية والفاعلين السياسيين تبحتون باستمرار لتعميم ثقافة الرأسمالية الليبرالية عن طريق استراتيجيات جديدة، تقوم على التفاعل والفورية لجذب الانتباه وتجسيد ثقافة الاستقطاب الواسع لغرض التمادي في السيطرة بفضل المضامين والاشكال الرقمية التي تعير الاهتمام للمجال التفاعلي والفعل الإدراكي. ويتضح ذلك، من أن مختلف الخدمات والتطبيقات والبرمجيات التي تقدمها المنصات الرقمية والشبكات الاجتماعية، تكون في الواقع مجانية، وتجسد "الحضور الرقمي والفوري"، الذي ينظر إليه على أنه وعد بالتحرر القائم على المشاركة والمرونة والانفتاح، إلا إلى أن هذه المجانية تخفي حقيقة واسرار وغايات "اقتصاد النقر" " économie du clic" التجارية، فهي تحول التجربة البشرية والانسانية والاحكام التي تضبط وتحدد حياة الفرد إلى "بيانات سلوكية". (Badouard, 2017, p. 179)، خاصة أن هذه المنصات توفر للأفراد فرصا للقيام بمهام متنوعة، كتقييم الصور، والكتابة، والتعليق، وتعديل محتوى المنشور على الشبكات الاجتماعية...وفقا لذلك، لا يمكن الحكم على الفرد من خلال المعيار الذي يتحكم في ثوابته وافكاره وقيمه، خاصة المثالية، لكن من خلال تصنيف أنماط وأوقات حضوره المتجدد من خلال "فعل النقر" مشاركته في النشر والتداول والتعليق وهي في الغالب، ينظر إليها كممارسات هدفها إشباع رمزي ونرجسي ومن الممكن حسب المختصين، أن تساهم في الدخول والانخراط في أشكال الإدمان المستمرة. وبالتالي، فإن رأسمالية المراقبة الرقمية لا تراقبنا فحسب، بل تتطفل على كل مساحة من حياتنا للسيطرة على نمط سلوكيتنا وتصورنا للعالم. فكلما زاد نقل المحتويات ومشاركتها وتداولها والنقر عليها، زادت قيمة الإيرادات المالية وكلما زادت وتنوعت البيانات والمعطيات المعروضة مع عدد النقرات كلما زادت إمكانية استغلالها بشكل واسع.

خاتمة

توصلت الدراسة إلى نتائج في غاية الاهمية، تؤكد على أن هذا التقدم التكنولوجي الرقمي الذي أحداث ثورات جذرية في المجتمعات، انعكس على جميع الأنساق الخاصة، بالثقافات والذهنيات وأنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية والسلوك، استنادا إلى هذا، لن يكون غريبا أن تشكل الوسائط الاجتماعية الجديدة، مرحلة هامة من التحولات التي تستخدم بشكل واسع في التواصل والنقاش والحوار وتقليص المسافات وتجسيد قيم الحرية. كما أنها قادرة على اعادة النظر في الكثير من الاحداث والقضايا، استنادا إلى النشاط الذي يساهم في نقد الأحكام الاستبدادية والسلطات المهيمنة، كما

ساعدت في الكشف عن المخاطر التي تهدد المجتمعات البشرية على اختلاف أنواعها، خاصة البيئية، والتنديد بمظاهر الفساد بمختلف أشكاله، وهذا يعكس حالة من الفاعلية الجديدة داخل النسق المجتمعي في تداول التصورات والاقتراحات والافكار والمعلومات للمطالبة بالإصلاح والتغيير، فهي بذلك، غيرت بشكل تدريجي الكثير من الممارسة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وعلى عكس النتيجة الاولى التي أشارنا إليها، بينت بعض المساهمات والاضاءات النظرية والبحوث التي قمنا بعرضها في هذه الدراسة، إن لم نقل الكثير، أن الكثير من الأفراد كانوا يعتقدون أن شبكات التواصل الاجتماعي، تشكل بمختلف أشكالها وخصوصياتها امتدادا واضحا لقيم الحرية والتقدم والديمقراطية الشاملة، ولكن في الأصل تعبر عن أزمة إنسانية وثقافية وسياسية وأخلاقية، وهذا ما ذهب إليه الباحث "دومينيك وولتون" عندما وصفها "بـ سلة للمهملات وبالقمامة الضخمة" التي تتضمن الكثير من المعلومات، التي تتوزع بين الشائعات والأكاذيب والأخبار المفبركة والموجهة احيانا والمعطيات الذاتية العرضية لحياة الافراد. يتيح لنا هذا الجانب التأكيد على حقيقة مهمة: أن التعبير السياسي ليس مرادفًا للتواصل السياسي، وأن حرية التعبير ليس مرادفة لحرية المعلومات، ولا يعبر الاتصال الاني المباشر الذي يستعرض انفعالات الذات عن مردودية اللوغوس.

كما أشارت نتائج الدراسة، إلى أن أليات التواصل التفاعلي على الشبكات الاجتماعية التي تستعين بالتطبيقات الرقمية وأجهزة التفاعل، لا تتعلق دوما بالقيم والتواصل البشري بمفهومه الأصلي والمرجعي، بل الامر يتعلق بوجود فضاءات تسمح لكل الافراد بسرد قصصهم عن حياتهم وآلماهم ورغباتهم ويلتقي فيها الكل باختلاف توجهاتهم واهتماماتهم وتصوراتهم ومستوياتهم، تسود فيه حالة من الاضطرابات والنزعات والصراعات والغايات التجارية والايديولوجية والوهم المرجعي. في ضوء كل هذه المعطيات المسبقة، يؤكد الكثير من المختصين، أن هذه الوسائط الاجتماعية تساعد على انتشار الكثير من المعلومات الخاطئة والكاذبة والمزيفة، وتساهم في انتشار مخاطر ما يسمى باستغلال المعلومات والحريات الفردية لأغراض سياسية وتجارية.

توصلنا في هذه الدراسة، وفي ظل هذه الاختراقات المتزايدة في أشكال التواصل، لمعرفة الأليات الخفية لاشتغال شبكات التواصل الاجتماعي في الحصول على الكثير من الموارد المالية من خلال بيع البيانات الخاصة لمستخدميها. فهذه المعضلة التي ألمت بالفرد الذي ينظر إليه ككائن رقمي فائق وعالمي تشكل خطرا على المجتمعات وعلى حريات الأفراد وحياتهم الشخصية. يتعلق الأمر بالسعي للكشف عن خصوصية الافراد في العالم الافتراضي، باستخدام استراتيجيات وتطبيقات والذكاء الاصطناعي وسلطة اقتصاد الانتباه لجعل أدوارهم شفافة وظهورهم الأني نسقا تفاعليا، لغرض الوصول إلى هويتهم الطبيعية ومعرفة حاجاتهم وأنماط تفكيرهم.

استنادا لما تم تناوله في هذه الدراسة، يمكن القول، أن كل ادعاء بتراجع عنف الدول الاستبدادية والمؤسسات العالمية بانتقالها إلى النظام الإعلامي الجديد المبنى على الحوار والشفافية في إدارة البيانات الشخصية وحماية المعلومات، يصاحبه دوما الاستخدام المفرط للمعلومات والبيانات من طرف مصالح الجيو-سياسية والاقتصادية والتجارية لأغراض تجارية وأمنية. لا تتعلق المشكلة في وقتنا الراهن، بهذا الاستغلال المتسارع وحسب، وإنما أكثر من ذلك، فهي تعبر عن مشكلة أخرى تشير إلى تقلص دور الحماية وغيات الاليات القانونية والضوابط الاخلاقية التي تسمح بذلك، **لهذا السبب، قد يكون من الصعوبة على المجتمع الرقمي التحرر والهروب من عالم المراقبة. كما أكدت نتائج هذه الدراسة، التي تستحضر الكثير من "التوجهات النقدية"** و"قناعات " المختصين في مثل هذه الأبحاث الرقمية، أن تشكيل هذا المجتمع الرقمي وممارسة الرقابة عليه، مرتبط بشكل أساسي بالمؤسسات الاستخباراتية وبأيديولوجية وادي "السيليكون" أو كما يسميه البعض بـ(حلم السيليكون العالمي)، إشارة إلى تلك المؤسسات التي تنتج وتستخدم الكثير من الخوارزميات والتطبيقات الرقمية لدراسة عادات المستهلكين والافراد ومعرفة مواقع تحركهم وعلاقاتهم وأهوائهم والوصول إلى المراقبة الشاملة للفرد العالمي...وقد تمكن هذا التوجه الاتصالي القائم على الهيمنة الخفية في وقت وجيز في تصميم وصناعة "عالم أفضل" للأفراد من أجل تعميم مجال التنبؤ الحسابي والسلوكي، والدفع بالفرد الفائق للتنازل عن بياناته الشخصية بسذاجة من خلال قبول الشروط العامة لاستخدام تطبيق معين أو خدمة ما، أو من خلال تصفح موقع معين... وهذا يؤدى إلى كشف البيانات المتعلقة بالحالة النفسية للمتصفحين وعن أفعالهم وعاداتهم ومواقفهم ومعارفهم وجمعها واستخدمها في مجالات كثيرة، يتم كل هذا دون علمهم بحجم وطبيعة الاضرار الخفية على نسقهم الاجتماعي والمعرفي والاقتصادي. يجدر بنا في نهاية هذه الدراسة التأكيد على أنه، عادة ما يتم شراء "الآثار الفعلية" التي نتركها على الشبكة الاجتماعية والمنصات من قبل وسطاء البيانات الذين يركزون على، الأسماء، الصور، والعناوين وأرقام الهواتف وأيضًا على بيانات الموقع الجغرافي والمعاملات المصرفية وأشكال التعبير...، وهذا يشير إلى أن العصر الرقمي، يتم فيه استبدال حرية الاختيار والتواصل والإبداع والتحرر بالتوقع والتنبؤ والتنظيم والحساب التلقائي لرغبات واهتمامات الافراد. لذلك يمكن القول من دون أدنى شك، إنها أكثر من مجرد ثورة رقمية، لأنها تستند إلى استراتيجيات، غرضها تجسيد مشاريع سرية في السياسة والتجارة والامن.

المصادروالمراجع

إلزا .غودار. (2019). أنا أسلفي إذن أنا موجود، تحولات الانا في العصر الافتراضي. ترجمة، سعيد بنكراد، لبنان: المركز الثقافي للكتاب.

مارك دوغان. وكريستوف لابي. (2020). الانسان العاري ، الديكتاتورية الخفية للرقمية .(ط1). ترجمة سعيد بنكراد: المركز الثقافي للكتاب.

References:

Alexis, D. (2016). Social networks are taking an increasing place in access to information, Facebook, YouTube, Twitter, Platforms are emerging before the media as sources of information. *Journal le Monde*. https://www.lemonde.fr/actualite-medias/article/2016/06/15/les-reseaux-social-privez-une-place-croiante-dans-l- acces-al-information_4950771_3236.html

Alnabulsi, H. (2021). Social Media and Their Impact on University Youth "A Study on A Sample Of The Universities of Jordan Students' ". *Dirasat: Human and Social Sciences*, *48*(3). Retrieved from https://archives.ju.edu.jo/index.php/hum/article/view/110290

Antonio, P. (2017). Power in the digital age. The "exhibition society", reflection on Exposed by Bernard E. Harcourt, *International Journal of Digital and Data Law*, 3. Les Éditions de l'IMODEV. Flight. 3. https://ojs.imodev.org/index.php/RIDDN/article/view/179/292

Aubert, N. & Christophe Roux, D. (2003). *The Cult of the Emergency. Society sick with time*. Paris, France: Flammarion

Aubert, N. & Claudine, H.et al. (2011). Are the tyrannies of visibility visible in order to exist? Toulouse, France: erès.

Azoulay, S. (2016) .Bernard Harcourt: The whole struggle for power consists in hiding, exposing, and making the data viral or not. In Rslnr digital considerations : https://archives.rsln.fr/fil/bernard-harcourt-lutte-pouvoir-donnees.

Badouard, R. (2017). *Disenchantment with the internet. Disinformation, rumor and propaganda*. Limoges: FYP éditions.

Bernard, A. & Valentine, A. P. (2019). The Triumph of Profiling: The Self in Digital Culture, Polity Press Cambridge. Cambridge: Polity Press.

Bernard, E., Harcourt. (2020). The Exhibition Society, Desire and Disobedience in the Digital Age, translated from English by Sophie Renaut. Paris : Seuil, coll. The color of Ideas.

Byung, C. (2017). Society of transparency : Hors collection.

Byung, C. (2017). The transparency society. Paris : PUF.

Castells, M. (2013). *Communication and power*. Paris, France: the House of Human Sciences.

Christophe, A. & Pierre, L. (2016). *Social networks, all egos? Louvain-la-Neuve*, Belgium: De Boeck University.

David, L. (2017). Global surveillance in a post-Snowden World. Communiquer,20 . https://journals.openedition.org/communiquer/2315

Dijk, J. & A.G.M. Van. (2006). The Network Society, Social Aspects of New Media. New York: SAGE Publications.

Dominique, Wolton. (2016). To ***inform is not*** to ***communicate***. Paris: CNRS.

Eric, S. (2016). *The Silicolonization of the World*. Paris, France: Éditions L 'escapée.

Francesca, M. (2015). The "man-controversy, of online privacy : *HERMS*. 73 , 212.

François, B. (2015). *The post-digital man*, *Facing the society of general surveillance* :Editions Yves Michel

https://www.theguardian.com/technology/2017/oct/05/smartphone-addiction- silicon-valley-dystopia

https://www.theverge.com/2017/12/11/16761016/former-facebook-exec-ripping-apart-society

James ,W. (2018). *Stand out of our Light: Freedom and Resistance in the Attention Economy*. Cambridge: Cambridge University Press.

James, V. (2017). Former Facebook exec says social media is ripping apart societ, No civil discourse, no cooperation; misinformation, mistruth.

Jean,L. & Servan,S. (2010). *Too fast ! : Why we are prisoners of the short term*. Paris: Albin Michel.

Julian, A., Jacob A.,Andy,M. &. Jérémie, Z. (2013). Threat to our freedoms, How the Internet spies on us, how to resist. (A. G. Muchnik, Trad.) Paris: Robert Laffont.

Laurent, A. (2020). On their deathbed, no one says to themselves, "I would have liked to have spent more time on Facebook,U.

& R.https://usbeketrica.com/fr/article/sur-son-lit -de-mort-nobody-says-I-would-like-to-spend-more-time-on facebook #: ~: text = For% 20citer% 20Postman% 2C% 20ce% 20qui,% 20hommes % 20pour% 20la% 20distraction. & Text = The% 20Best% 20of% 20Mondes% 2C% 20Aldous% 20

Luc, V. (2017). Let's not sell off our attention time to the web giants, *Journal le Monde*: https://www.lemonde.fr/idees/article/2017/09/09/ne-bradons-pas-notre-temps-d-attention-aux-geants -du-web_5183378_3232.html

Naivin, B. (2016). Selfie: a new photographic perspective. Paris, France : L'Harmattan.

Niklas, L. (2012). The Reality of Mass Media. (F. Bouter, Trad.) Berlin. Germany: Diaphanes.

Olivennes, D. &. Mathias, C. (2018). "The immediacy of social networks is extremely toxic".*Le Journal Le point*. https://www.lepoint.fr/editos-du-point/laurence-neuer/l-immediatete-des-reseaux-social-est-extremement-toxique-20 -03-2018-2203984_56.php

Olivennes, D., Mathias, C. (2018). *Deadly Transparency*. Paris: Albin Michel.

Paul Lewis. (2017). Our minds can be hijacked .The tech insiders who fear a smartphone dystopia. The Guardian,

Paul Lewis. (2017). Our minds can be hijacked ': the tech insiders who fear a smartphone dystopia. Guardian: https://www.theguardian.com/technology/2017/oct/05/smartphone-addiction-silicon-valley-dystopia

Raggad, A., & Shweihat, S. (2021). The degree of positive and negative effects of social media networks from the point of view of the German-Jordanian University students. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *48*(3). Retrieved from https://archives.ju.edu.jo/index.php/hum/article/view/109898

Ramonet, I. (2011). *The Explosion of Journalism*, from mass media to mass media. Paris: Galileo.

Ramonet, I. (2015). The Empire of Surveillance, followed by two talks with Julian Assange and Naom Chomsky. Paris: Galileo.

Sausse, S. (2016). *Selfies: narcissism or self-portrait? (GREUPP Adolescence)*, 34 (3). In Adolescence: https://www.cairn.info/revue-adolescence-2016-3-page-623.htm

Shoshana, Z. (2020). Ms. Zuboff is the author of "The Age of Surveillance Capitalism. *The New York Times*: https://www.nytimes.com/2020/01/24/opinion/sunday/surveillance-capitalism.htm

Sussan, R. (2018). When the virtual becomes real. Futura Tech: https://www.futura-sciences.com/tech/dossiers/technologie-avenir-univers-virtuels-776/page/11/

Wattebled, N. (2018). Éric Sadin. The silicolonization of the world:The irresistible expansion of digital liberalism. *Digital interfaces*, 7(1).

Zoe, M. (2018). Why our networks are hugs and why they should stir us up more often. *Homo gulliver*: https://homogulliver.com/Pourquoi-nos-reseaux-sont-des-calins-et-pourquoi-ils-devrait-nous-remuer-plus-souvent.html

Zuboff, S. (2020). The age of surveillance capitalism. *Anne-Sylvie Homassel* .Paris: Zulma.